يوصف الأدب المغربي القديم بأنه أدب مغمور، لأن الدراسات التي عنيت بالبحث فيه قليلة ومصادره شحيحة، إلا انه لم يكتب له الظهور إلى اليوم، وينتظر من يزيل عنه الغبار ويكشف عنه النقاب.

كما يصفه بعض الدارسين بالضعف الفني في معظمه ويلحقه بعضهم بالأدب الأندلسي فيما يرى البعض الآخر أنه لا وجود لما يسمى بالأدب المغربي.

وهذه الآراء والأحكام المتباينة التي أصدرت في حقه جعلتني أهتم بفن الترسل في العهد الرستمي لأن هذا الفن لم ينل حقه من الدراسة كغيره من فنون الأدب.

والترسل من أهم الصناعات الإنشائية التي كانت تشكل نوعا بارزا في قائمة الأنواع الأدبية المرتبطة بالحضارة الإسلامية في شتى البلدان والدول، ولذلك تقوم الكتابة بدور عظيم في خدمة الأمة، وتظهر الرسائل في تجليات مختلفة أبرزها الرسائل الديوانية التي تعتبر وسيلة لتثبيت دعائم حكم الأمراء والسادة والخلفاء، وهي بذلك أقدم وثيقة يمكن الاعتماد عليها لاستجلاء الحياة السياسية، الاجتماعية والثقافية.

ومن بين الأدباء الذين برعوا في كتابة هذا النوع من الرسائل الإمام أفلح بن عبد الوهاب الذي كان له باع طويل في هذا النمط الأدبي، من خلال كتابته لمجموعة من الرسائل التي لفتت انتباهي فدفعتني إلى دراستها، وقد اعتمدت في البداية على المنهج التاريخي من خلال تتبعي لمراحل تطور هذا الفن وكان اعتمادي في الأساس على المنهج الوصفي وذلك من خلال البحث عن خصائص ومميزات هذا الفن عند أفلح بن عبد الوهاب.

ولعل أبرز إشكالية مطروحة في هذا البحث تتمثل في:

– ماهي مميزات وخصائص هذا الفن عند الإمام أفلح؟ ولماذا اقتصر على كتابة الرسائل الديوانية دون غيرها؟

ولقد كان لاختياري هذا الموضوع عدة أسباب منها ماهو ذاتي ومنها ماهو موضوعي، أما عن الأسباب الذاتية فتتمثل في إعجابي بشخصية الإمام أفلح القوية والشجاعة التي ترفض الانحراف وتسعى للسير وفق ما شرعه الله لعباده.

أما عن الأسباب الموضوعية فتتمثل في الرغبة للتعرف على فن الترسل في العهد الرستمي، وكذلك كشف بعض خصائص هذا الفن عند الإمام أفلح.

وقد قمت بوضع خطة لأستطيع من خلالها الوصول إلى النتائج المطلوبة والتي تتمثل في فصلين: الأول نظري والثاني تطبيقي، تتصدرها مقدمة ثم مدخل وينتهيان في الأخير بخاتمة وقائمة المصادر والمراجع ثم فهرس للموضوعات.

ففي المقدمة عمدت إلى طرح الإشكالية حول موضوع البحث، أما في المدخل فقد تطرقت إلى تعريف فن الترسل ثم إلى وضع لمحة تاريخية عن فن الترسل في المشرق، وفي الفصل الأول الذي عنونته بفن الترسل في العهد الرستمي تطرقت فيه إلى تأسيس الدولة الرستمية ثم تناولت أهم أعلام فن الترسل وموضوعاته وخصائصه البنائية، أما في الفصل الثاني الذي عنونته بالدراسة الفنية حيث تطرقت إلى البناء الهرمي للرسائل ثم اللغة ثم الأسلوب ثم الصور البيانية ثم المحسنات البديعية ثم تأتي الخاتمة التي تلخص النتائج المتحصل عليها من خلال هذا البحث وبعدها قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

كما ساعدني على انجاز هذا العمل حصولي على مجموعة من المصادر والمراجع المهمة التي تناولت فنه بالدراسة منها: الباروني الذي عمل على حفظ هذه الرسائل من الضياع وسط الركام الهائل في كتابه الأزهار الرياضية، وكذلك نجد كتاب العبر لابن خلدون وكتاب سير الأئمة الرستميين لابن الصغير وكتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس

والمغرب للمراكشي وكتاب تاريخ الأدب الجزائري لمحمد طمار وكتاب تاريخ الجزائر العام للجيلالي.

ومما يلاحظ أن هذه المصادر والمراجع لم تعلق على النصوص بل تناولتها في سياق تاريخي بحت.

وكان لابد من الاطلاع على الدراسات السابقة التي سلطت الضوء على فن الترسل في العهد الرستمي ومن بينها:

- فن الترسل في العهد الرستمي مقاربة أسلوبية لبوصوري ناصر.

- الأشكال النثرية في عهد الدولة الرستمية الخطب والرسائل نموذجا مقاربة بنيوية.

هذا عن بعض الدراسات المهتمة بموضوع هذه الرسائل التي دفعتني للاهتمام بها ودراستها دراسة فنية.

وقد واجهتني أثناء بحثي العديد من الصعوبات التي لا يخلو منها أي بحث مهما كان نوعه وكان من أهمها ندرة المراجع التي تخدم الموضوع بشكل أفضل رغم وفرة الكتب التي تتحدث عن فن الترسل إلاّ أنني وجدت مشقة في العثور على المصادر والمراجع التي تتحدث عن فن الترسل في العهد الرستمي.

إلاّ أن هذه الصعوبات لم تمنعني من دراسة هذه الرسائل وتخطي جميع العقبات أثناء الدراسة.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف على هذا العمل "**إبراهيم كربوش**" الذي لم يبخل عليا بجهده ونصائحه القيمة التي ساعدتني في إتمام دراستي لأن كل باحث في هذه المرحلة يحتاج إلى من يرشده ويوجهه.

وأقر بأن هذا البحث لا يرقى إلى درجة الكمال فإن أصبنا فبتوفيق من الله عزّ وجل وإن أخطأنا فجل من لا يخطئ.

1-مفهوم الترسل لغة واصطلاحا:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب مادة رَسَلَ، " قال: والتَّرَسُّلِ من الرِّسل في الأمور والمنطق كالتَّمهُّل والتوقُّر والتَّثَبُتْ، وجمع الرِّسالة الرَّسائل. قال ابن جنبة: "التَّرَسُّل في الكلام التوقر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديدًا.

والترسل كالرسل والترسل في القراءة، والترسل واحد وقال هو التحقيق بلا عجلة، وقيل بعضه على أثر بعض.

والرَّسَل قطيع من الإبل قدر عشر يُرْسَل بعد قطيع. ويقال: جاءوا رِسْلة رِسْلة أي جماعة جماعة.

والإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرِّسالة والرَّسالة والرَّسول والرَّسيل."[1]

أما في المعجم الوسيط فقد جاء: "رَسِلَ البعيرُ رسلاً، ورَسالَةً: كان رسلاً.

ويقال رسِّل في القراءة، رتِّل وحقِّق بلا عجلة وفي الحديث "كان في كلامه ترسيل".

الرّسل الذي فيه لين واسترخاء، يقال شعر رَسْلٌ: مسترسل وبعير رسل: سهل السير وسير رسل. والرِّسلُ الرِّفق والتؤدة.

الرِّسل القطيع من الإبل والغنم وغيرها".[2]

أما في قاموس نوبل فقد جاء: "الرسالة الاسم من أرسل والرَّسلة: الكسل. ورسّل الفُصلان: سقاها الرِّسل.

---

[1]: ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث القاهرة، مج4، باب الراء، مادة رسل، ص 141، 142.

[2]: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، الجزء 1+2، ص 390.

والرُّسُل من الجواري: الصغيرة التي لا تختمر".[1]

أما الزمخشري فقد ذكر في باب رسل ما يلي: "راسله في كذا، وبينهما مكاتبات ومراسلات، وتراسلوا وأرسلته برسالة وبرسول، وأرسلت إليه أن أفعل كذا، وأرسل الله في الأمم رسلا.[2]

ب- اصطلاحا:

الرسالة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه وتكون كتابتها بعبارة بلاغية، وأسلوب حسن ورشيق، وألفاظ منتقاة.

وقد يطلق على كتابة الإنشاء صناع الترسل، تسمية للشيء بأعم أجزائه، إذ الترسل والمكاتبات أعظم من كتابة الإنشاء، وأعمها من حيث إنه لا يستغنى عنها مِلك ولا سوقةُ.[3]

وقد يعني الترسل إنشاء المراسلات على الخصوص، لأنهم يريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه من حيث الأدب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة، وهو الذي يتغير مع الأعصر... ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لأن أساليبها متشابهة.[4]

أما عبد العزيز عتيق يعرفها بأنها: "قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا، وقد يكون هذا الشعر من نظمه

---

[1]: بسام عبد الله، قاموس نوبل، عربي عربي، دار الكتاب الحديث، دط، 2011، ص357.

[2]: الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، 1998م، ص353.

[3]: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1340هـ، 1922م، ج1، ص53.

[4]: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة، دط، دت، ج2، ص268.

أو مما يستشهد به من شعر غيره وتكون كتابتها بعبارة بليغة وبأسلوب حسن وشيق وألفاظ منتقاة ومعاني طريفة. "[1]

فهي تعد من فنون النثر التي حفلت بها صناعة الكتابة وتنوعت بتنوع أغراضها ومراميها فهي تكتب للتعبير عن أمر ما قد يكون شخصيا أو عاما بأسلوبها السهل الواضح والموجز لبغية الوصول إلى أهداف محققة وذلك من خلال قواعد تطرح بلغة متميزة عن اللغة العادية بسماتها وخصائصها التي تتميز بها.

2-نشأة فن الترسل وتطوره:

يعتبر فن الرسائل عند العرب من الفنون الأدبية القديمة وقد ازدهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وقد ألفت فيه كتب ودواوين كثيرة، ونهج كل أديب منهجا يختص به، ويعرَّف بأنه: "فن نثري جميل يظهر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه المنمقة".[2]

إن الحديث عن أولية الترسل ومراحل تطوره وكيف وصل إلى مكانة سامية بين فنون النثر العربي، يتطلب منا الوقوف على مراحل النشأة والتطور، والتي نستطيع من خلالها تكوين فكرة واضحة عن بنائية الترسل، وكيف انتهى إلى المرحلة المرموقة، والدرجة الرفيعة، وهذه المراحل هي:

أ. مرحلة العصر الجاهلي:

تعد نصوص الرسائل في العصر الجاهلي وثيقة الصلة بالنثر الفني العربي وهي من أقدم المدونات ومن أكثرها أهمية واستحقاقا للتدوين، وقد كانت الكتابة في العصر الجاهلي على قدر ضئيل من الانتشار فليس هناك تعليم منظم إضافة إلى أن كتاب هذا العصر لم يحسنوا الكتابة

[1]: عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص448.

[2]: الموسوعة العالمية العربية، حرف الراء، مؤسسة أعمال الموسوعة، ط3، 1999، ص202.

بل كانوا يبذلون وقتا طويلا في عديد من الأسطر ينكب عليها فلا يفرغ منها إلا وقد أفرغ الجهد معها.[1]

أي أن الرسائل في العصر الجاهلي لم تكن واضحة المعاني لأن الكتابة كانت غير موجودة إلا نادرا، وإن وجدت بعض الرسائل النثرية في العصر الجاهلي فهي لا تخلو من بعض الهفوات، وقد كتبت على أدوات الكتابة الموجودة في ذلك العصر ومن أبرزها نذكر: رسالة قضي بن كلاب إلى أخيه من أمه رزاخ بن ربيعة العاذري في الشام حيث تضمنت هذه الرسالة طلبا من قضي إلى أخيه كي ينصره في زعامته لملكه، وكذلك نذكر رسالة من قيصر الروم إلى امرئ القيس بعد أن أنجده لإعادة ملك أبيه المقتول وقد حملت هذه الرسالة معها حلة مسمومة، أما نصها فهو: "إني قد بعثت إليك بحلتي التي كنت ألبسها يوم الزينة ليعرف فضل منزلته عندي فإذا وصلت إليك فألبسها على اليمن والبركة"،[2] ومن ذلك أيضا صحيفة الملتمس التي كتبها عمرو بن هند إلى عامله على البحرين ورسالة حنظله بن أبي سفيان إلى أبيه في اليمن.

إن الرسائل المدونة في العصر الجاهلي قليلة جدا يغلب عليها الإيجاز والاقتضاب مع سهولة اللغة ووضوح العبارة لذلك يرى البعض أن فن الرسائل لم يكن موجودا في ذلك العصر، ربما بسبب قلة استعمال الكتابة،[3] وصعوبة وسائلها[4]يقول الدكتور شوقي ضيف: العرب استخدموا

---

[1]: خالد الجلبوني، فن الرسائل النثرية في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة، دمشق، سوريا، دط، دت، ص21-22.

[2]: المرجع نفسه، ص 23-24.

[3]: محمود مقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 1993م، ص209.

[4]: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط10، دت، ص398.

الكتابة في العصر الجاهلي لأغراض سياسية وتجارية لكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة تتيح لنا أن نزعم أنه وجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية".[1]

ب. **المرحلة النبوية:**

كان لظهور الإسلام أثر كبير في ازدهار النثر العربي ولا سيما الخطابة والترسل، وقد دعا قيام الدولة الإسلامية واتساع سلطانها إلى الاستعانة بالكتابة والكتاب، وكانت الكتابة محدودة الانتشار في العصر الجاهلي، فاتسع لها المجال في صدر الإسلام، فإن قيام الدولة الإسلامية استدعى وجود كتّاب يوجهون الرسائل إلى العمال والقبائل في مختلف أقطار الدولة، فكان للرسول صلى الله عليه وسلم كتاب كما كان لخلفائه وولاتهم من بعده كتّابهم.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة، لذلك وجدناه في غزوة بدر الكبرى يطلب ممن يحسنون الكتابة والقراءة من كفار قريش الذين كانوا أسرى في أيدي المسلمين أن يعلموا عددا معينا من أبناء المسلمين لقاء فدائهم، وما ذلك إلا لإدراكه خطر الكتابة وعظمة شأنها، فهي كالمال بل أكثر من المال، وقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كتَّابًا يكتبون له القرآن الكريم ويكتبون رسائله التي كان يرسلها لملوك وحكام الدول المحيطة.

وعند النظر في الرسائل النبوية المرسلة إلى كل من: هرقل ملك الروم وكسرى ملك الفرس والمقوقس عظيم القبط في مصر، والنجاشي ملك الحبشة ووائل بن حجر في حضر موت نتبين من خلال ما تحمله من أرق الكلمات أنها تدل على ما يتميز به أهل الديانات السماوية، ففي رسالته إلى هرقل ملك الروم يقول في نصها: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، ويا أهل

[1]: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط5، دت، ص19.

الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا أربابًا من دون الله، فإن تولوا فقولوا: أشهدوا بأننا مسلمون".[1]

أما رسالته عليه السلام على كسرى ففيها تذكير بالعقيدة وإنذار وتحذير، حيث يقول فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيًا أسلم تسلم..."[2] والتذكير بالعقيدة والإنذار جاء لكسرى لأنه مشرك يعبد النار وفاسد للعقيدة.

ولكن رسالته صلى الله عليه وسلم إلى ملك دومة الجَنْدَلْ التي يقول فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر دومة: إنا لنا الضاحية من الضحل والبور والمعاصي، وإغفال الأرض...، شهد الله ومن حضر من المسلمين"[3]بدأت هذه الرسالة بالبسملة، وذكر المرسل، والمرسل إليه، ثم عرض الموضوع، وختم الرسالة بإشهاد الله ومن حضر من المسلمين على ما ورد في الرسالة.

أما رسالته للنجاشي كانت مختلفة فقد تميزت بالطول والاحترام المتبادل بين المرسل والمرسل إليه وكان نص الرسالة هكذا: قال النبي صلى الله عليه وسلم "بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني

---

[1]: يسرى عبد الغني عبد الله، النثر في عصر صدر الإسلام، نهج البلاغة نموذجا، منشورات صفحة البلاغة الرحبة، ط1، مارس 2017، ص 29-30.

[2]: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، دار المعارف، ط4، دت، ج2، ص654.

[3]: يسرى عبد الغني عبد الله،النثر في عصر صدر الإسلام،مرجع سابق، ص30-31.

وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى"[1].

نلاحظ أن رسول الله (ص) قد عرض على النجاشي الدخول في الإسلام وإتباع دين الله كما تميزت رسالته المرسلة إلى وائل بن حجر الحضرمي بالبلاغة ووعورة الألفاظ وغرابتها، إذا ما قورنت برسائله عليه السلام لغير العرب، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يخاطب الناس على قدر عقولهم، ومن كتابه عليه السلام إلى وائل بن حجر الحضرمي: "من محمد بن عبد الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حضر موت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، في التيعة، والتيمة لصاحبها، وفي السّيوب الخمس، لا خلاط، ولا وِراط، ولا شناق، ولا شغار، فمن أجبى فقد أربى، وكل مسكر حرام ووائل بن حُجْرٍ يترقّلُ على الأقْيَالِ، أميرٌ أمَّرَه رسول الله فاسمعوا وأطيعوا."[2]

لقد حققت الرسائل دورها وهدفها في بساطة ويسر على المستوى اللغوي دون صنعة ولا غموض ولا لبس.

– ونجد في رسائله عليه السلام لغير العرب التشابه في صيغة الأداء بين مكاني المرسل والمرسل إليه، مع تواضع المرسل عليه السلام في إظهار عبوديته لله.

لقد دعم كتابته عليه الصلاة والسلام بمنطق الحس الديني لإحساسه بحجم التبعة ومحاولة الإقناع بالحسنى من واقع الصيغ الشرطية المتكررة (أسلم تسلم، أسلم يؤتك أجرك مرتين).

وأحاط المنطق البلاغي في هذا لمكاتبات أو الرسائل التي ظهر فيها: الإيجاز، وملائمة أحوال ظروف الدعوة والوضوح والقصد إلى الإقناع، والبعد عن الكلفة والتصنيع.

---

[1]: خليف مي يوسف، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دار قباء للطباعة والنشر، دط، دت، ص32–33.

[2]: الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، مكتبة الخاجي،دط، دت، ج2، ص27.

وأكدت الرسائل على عموم الرسالة النبوية إلى البشرية أن دين الإسلام هو دين عالمي وهو للناس كافة.

لقد كانت رسائل الدعوة النبوية إلى الملوك والأمراء فدعاهم فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، وهي أظهر ما وجد في العهد النبوي من نثر مكتوب فما من عهود ومواثيق بين المهاجرين والأنصار واليهود أو بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش إلا كتابة الترسل النبوي أو إلى الترسل الراشدي وما بعده.

ويحاول الدكتور طه حسين أن يقلل من معرفة العرب في عصر النبوة بالكتابة وما ينتظم فيها من جمل وعبارات فيقول: "نص المعاهدة التي عقدت بين المسلمين والأنصار، التي أنزلت العرب، المهاجرين والأنصار منازلهم في المدينة كانت كتابة قوم لم يتعودوا أن يؤدوا أغراضا سياسية بهذا النوع من الأداء، وإنما كانت تؤدي بالأحاديث فكتبت في الصحف كما كانت تردد في الأحاديث".[1]

ولكن الذي يتفحص رسائله صلى الله عليه وسلم خاصة تلك التي أرسلت لأمراء العرب يرى مدى الفصاحة التي كتبت بها، كتلك التي أرسلها لوائل بن حجر الخضرمي فالرسول صلى الله عليه وسلم رغم أميته لكنه كان رمزا للفصاحة والبلاغة والبيان، فلذلك روى أنه قيل: الأمية في رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة، وفي غيره نقيصة".[2]

وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مشاعل وضاءة في الفصاحة العربية، وهذا ما سنلاحظه عند حديثنا عن الترسل في العهد الراشد.

---

[1]: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، مصر، ط1، دت، ج1، ص40.

[2]: القلقشندي، كتاب صبح الأعشى، مرجع سابق، ص43.

وهناك من يحاول أن يسم الترسل النبوي بالسمات ذاتها في العصر الجاهلي، فتقول أمل دواعق سعد بهذا الصدد: "مع ظهور الإسلام ظهرت الدعوة الإسلامية النبوية، وهي تكاد تتسم بصفات الرسائل الجاهلية، إضافة إلى استعمال ألفاظ مناسبة لحال المخاطب".[1]

والذي يطالع رسائله صلى الله عليه وسلم يلحظ التشابه في نص الرسائل ذات الموضوع الواحد، وإن اختلف الكاتب فمثلا رسائل الأمان التي كتبها سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو التي كتبها معاوية رضي الله عنه كلها متشابهة شبها يكاد يكون تامًا، فالمهم عندهم إفهام المكتوب إليه فيما يريدون من معاني بأسهل أسلوب.

ولا نستطيع أن نطلق على كتاباتهم هنا اسم الكتابة الفنية، لأنها مرتجلة سريعة مملات بلغة سهلة هي لغة الحديث.[2]

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى ما ذكره القلقشندي عندما قال: "أعلم أن هذا الديوان [ديوان الرسائل]

أول ديوان وضع في الإسلام، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه، وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله بكتبه...، وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الإنشاء".[3]

لكن هذا القول لا يعتمد على أساس قوي، إذ لا تلازم بين ديوان الإنشاء وهذه الكتابة، حيث إنه قد يوجد هذا الديوان، الذي يتألق من كتاب مترويين مجبرين متأنقين متفننين، ولم يوجد في عهد الرسول الكريم عليه السلام، مثل هذا الصنف من الكتاب، ومن جاء قبل القلقشندي من

---

[1]: أمل دواعق سعد، فن المراسلة عند مي زيادة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1972، ص29.

[2]: حسن نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2002م، ص47.

[3]: القلقشندي، صبح الأعشى، مرجع سابق، ص91.

مؤلفين وأدباء ومؤرخين لم يذكروا مثل هذا الديوان في العهد النبوي، أو حتى في عهد الخلفاء الراشدين أنفسهم.

وكل ما يمكن قوله وجود الأساس الذي سيشيد عليه فيما بعد ديوان الرسائل، ومنهم من أيد العبارة الأخيرة بقوله: "يصح أن نعد هذا العمل أول خطوة في إنشاء ديوان رسمي للدولة الإسلامية." [1]

ج. مرحلة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

تأثرت الكتابة في بدايات تلك المرحلة برسائل الرسول صلى الله عليه وسلم وعهوده ومواثيقه، إلا أنها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما بعد من عهود قد تعددت مواضيعها، وأصبحت لها شأن بارز في أعمال الدولة السياسية والاقتصادية، وهذا ما أشار إليه الدكتور شوقي ضيف، حيث قال: "وفي الحق أننا لا نصل إلى عهد عمر حتى تصبح الكتابة جزءا أساسيا في أعمال الدولة، وحتى تتضمن كلها تعاليمها، وكل مارسمته للمسلمين وأهل الذمة من العلاقات السياسية والاقتصادية... فإذا قلنا بعد ذلك: إن الكتابة رقيت في العصر رقيا بعيدا لم نكن مغالين، إذ وسعت كل الحاجات السياسية التي وجدت وكل ما أعطي للمسلمين المحاربين والشعوب المفتوحة من حقوق." [2]

❖ سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

بعد أن أكمل الله دينه، وأتم على الناس نعمته، وأدى الرسول صلى الله عليه وسلم أمانته، استلم صديقه الصديق أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام، لكن أمورا كثيرة اعترضت أبا بكر رضي الله عنه لمحاربة الروم والفرس واليهود، وبعض القبائل العربية، وهو سيقف في وجه المرتدين الذين أعلنوا ارتدادهم عن الإسلام، فها هو يرسل رسالة إلى القبائل المرتدة ينذرهم عاقبة فعلتهم، يقول فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله

[1]: حسين نصار، مرجع سابق، ص 47، 48.

[2]: شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط7، دت، ص134.

صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه، أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، نقر بما جاء به ونكفر من أبى ونجاهده.

أما بعد، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا..."[1].

نلاحظ من خلال هذا القول أن الكتابة لم يتغير وضعها كثيرا عما كان عليه في العهد النبوي، فالكتّاب هم الكتّاب، والأسلوب هو الأسلوب، لكن لكثرة الحروب والمعاهدات جعلهم يكثرون من الكتابة، وظهر أمر جديد هو عهود الولاية، أي عهد سيدنا أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–لسيدنا عمر–رضي الله عنه–ونذكر هنا أن أبا بكر الصديق كتب له عثمان بن عفان –رضي الله عنه–[2]

❖ **سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

ويستلم راية الخلافة الفاروق –رضي الله عنه–وتتسع بلاد الإسلام، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا، ويزداد تعقيد الحياة، وتتسرب إلى بلاد الإسلام حضارات الأمم المجاورة، وتتعدد مطالب الدولة فينشئ سيدنا عمر –رضي الله عنه–الدواوين التي تلزم الإدارة شؤون الدولة.

وأهم نصين نستشف منهما بعض مظاهر الكتابة الفنية العمرية هما:

أ– الوثيقة العمرية التي أعطاها عمر –رضي الله عنه–لأهل إيليا بالجابية وكتب لهم فيها الصلح، فجاء نص موثقه:

---

[1]: مي يوسف خليف، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص 38–39.

[2]: صبح الأعشى، مرجع سابق، ص 92.

" بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إلينا من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وطلباتهم، سقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن مع أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت[1] فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله..."[2]

فلحظ اقتداء ابن الخطاب –رضي الله عنه–برسول الله صلى الله عليه وسلم – في رسائله من حيث توزيع الوثيقة بين إجمال وتفصيل وكأنما وضع منطق الرسول (ص) بين يديه ونصب عينيه واقتدى بمنطقه في حجة الوداع يوم أجمل وفصّل ليوقف المسلمين على كل جانب من حياتهم.

ب– رسالة سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–إلى القضاة التي أرسل بها إلى أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه–:

" بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أُدْلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك. البيّنة على من ادّعى، واليمن على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا حرّم حلالًا أو أحلّ حرامًا..." [3].

وتعد هذه الرسالة إحدى العلامات البارزة على طريق الكتابة الفنية في عصر صدر الإسلام حيث لا صنعة فنية فيها ولا إيجاز.

---

[1]:اللصة مثل اللص: السارق وجمعه لصوص.

[2]: النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، مرجع سابق، ص 42،43.

[3]: المرجع نفسه، ص 48،49.

ويرى القلقشندي أن الكتابة العمرية لم تتغير عما كانت عليه في عهد سيدنا أبي بكر –رضي الله عنه–والإملاء لا يزال موجودا، ولكن كان يطلب من الكاتب أن يحسن الكتابة من عنده، وأحيانا كان يطلب من الكاتب أن يكتب بعض الرسائل بنفسه ومع كل ذلك كانت شخصية سيدنا عمر –رضي الله عنه–تظهر خلال رسائله كأنه يتكلم بنفسه.[1]

❖ **سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه:**

ولا يختلف عصر سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه–في كتبه وترسله عن سابقيه كثيرًا، وإن كانت أقرب إلى رسائل سيدنا عمر بن الخطاب، وقد اتخذ من مروان ابن الحكم كاتبًا له[2]، وسنتعرف على نموذج من ترسل سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه–منه ما كتبه عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم حيث جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله عز وجل بعث محمدًا بالحق بشيرا ونذيرا، فبلغ عن الله ما أمره به، ثم مضى وقد قضى الذي عليه، وخلف فينا كتابه، فيه حلاله وحرامه، وبيان الأمور التي قدر فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر الصديق –رضي الله عنه–وعمر–رضي الله عنه– ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملا من الأمة..."[3]

نلاحظ في رسالة ذي النورين أنه لا يوجد فيها تكلف أو صنعة أو تأنق، ربما لأن الموقف لا يتطلب ولا يحتمل ذلك، لأن طبيعة الموضوع تحتاج لمثل هذا الأسلوب، كما جاءت ألفاظها سهلة موافقة للمعنى وتظهر حقائق تاريخية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يوم كتابة هذه الرسالة.

---

[1]: صبح الأعشى، مرجع سابق، ص 50–52.

[2]: عبد العال، محمد يونس، في النثر العربي، قضايا وفنون ونصوص، الشركة المصرية العالمية، ط1، 1996م، ص177.

[3]: تاريخ الطبري، مرجع سابق، ص351،352.

❖ **سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

لما انتقل سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه–بعد أن استشهد إلى جوار ربه، وبويع سيدنا علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–بالخلافة وتبدأ الخصومات بين سيدنا علي ومعاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه–رضي الله عنه–وتشتد الفتنة، تكثر الرسائل والمكاتبات ومن الرسائل المهمة لسيدنا علي –كرم الله وجهه–رسالته التي قرأها قيس بن سعد على أهل مصر والتي جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الله عز وجل بحسن صنعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام دينا لنفسه وملائكته ورسله، وبعث عليهم السلام إلى عباده وخص لها ما انتخب من خلقه، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمدًا صلى الله عليه وسلم..."[1]

نلاحظ أن لغة هذه الرسالة واضحة الدلالة، رغم أنها تميل أحيانا إلى مقومات الصنعة وهكذا فإن الرسائل في عصر الخلفاء الراشدين تعمل على وضع أساس لمبادئ الدين وتوطيد وجوده والسعي لنشره في البلاد، حيث تميزت الرسائل في عهد الخلفاء بأنها تسعى لوضع وتأسيس مبادئ الدين الإسلامي، وإصلاح وتغيير المجتمع.[2]

3.مرحلة العصر الأموي:

بعدما تحدثنا عن الكتابة وما ظهر فيها من ترسل في المراحل السابقة، وغلب على الرسائل الإملاء من الخليفة، والنسخ من الكاتب أخذ الكتاب في هذا العصر يستقل وتظهر

[1]: مي يوسف خليل، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، مرجع سابق، ص 62،63.

[2]: شوقي ضيف، الأدب في موكب الحضارة، مكتبة الأنجلو،القاهرة، ط5، 1968م، ص 227.

شخصيته، وتتعدد المكاتبات وتكثر الدواوين وينشئ معاوية –رضي الله عنه–ديوان الرسائل وديوان الخاتم[1].

فديوان الرسائل كانت تصدر عنه رسائل تفيض بيانا، وينظرها جمال الأسلوب وسحر البلاغة، وديوان الخاتم: مهمته أن يرسل إليه ما يكون للخليفة من توقيع، ليصدر منه مختومًا لا يدري حامله ما فيه ولا يستطيع أن يغيره.[2]

وقد كان الخليفة معاوية –رضي الله عنه– في بداية الأمر هو الذي يملي الرسائل على كتابه، ثم بمرور الزمن أخذ الكاتب يستقل بكتابة الرسائل، ثم يعرضها على الخليفة وكان أسلوب الرسائل آنذاك تغلبُ عليه البساطة والوضوح، ويخلو من التأنق والتصنع، وكثرت الرسائل الديوانية وخاصة السياسية وأخذ كتاب الدواوين المحترفون ينهضون بالكتابة الديوانية وخاصة في عهد هشام بن عبد الملك عندما تولى مولاه سالم رئاسة ديوان الرسائل في عهده، ثم في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، الذي تولى أمر ديوانه عبد الحميد بن يحي الكاتب فأوفى بالكتابة الديوانية على الغاية من غزارة المعاني وروعة الأسلوب وإعطاءه حقوقه من الجزالة والرونق والطلاوة، ومضى يدبّج رسائل أدبية لا يقصد بها إلى سياسة، إنما يقصد بها إلى الأدب من حيث هو فن جميل فعدت مكاتبته مضرب المثل في الجودة والإتقان حتى قيل: "افتتحت الكتابة بعبد الحميد واختتمت بابن العميد" ومن رسائل عبد الحميد المشهورة رسالته التي كتبها عن مروان إلى ابنه وولي عهده عبد الله حين وجهه إلى محاربة الضحاك بن قيس الشيباني الذي ثار في العراق.

---

[1]: الحوفي أحمد، النثر الفني عربي النشأة، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مج 45، ج1، ص30.

[2]: سعد أمل دواعق، مرجع سابق، ص 295،296.

4. مرحلة العصر العباسي:

وعندما قامت الدولة العباسية أخذ خلفاءها هم الآخرون يولون كتابة الرسائل عناية أكثر من سابقيهم. وقد ترك نثر عبد الحميد الكاتب بعد مقتله طابعًا واضحًا على آثار كثيرة من بلغاء وكتّاب العصر العباسي في القرنين الثالث والرابع حيث أخذت الصناعة اللفظية تتغلب تدريجيا كما سيطر السجع على فن الترسل الديواني والأدبي ويرى جورج غريب "أن الرسائل أغرقت في الصناعة، فباتت مسرحا للسجع والجناس والطباق والإطناب وسائر المحسنات اللفظية والمعنوية.[1]

ومع بداية العصر العباسي نشطت الرسائل السياسية نشاطا واسعا ومما ساعد على ذلك كثرة الدواوين فدواوين للخراج ودواوين للنفقات ودواوين للجيش ودواوين للحرب ودواوين للرسائل...[2]

وقد ازدهر فن الرسائل ازدهارا كبيرا في هذا العصر ولعل هذا راجع إلى جملة من العوامل أهمها:

1. تنوع الدواوين وكثرتها.
2. تشجيع الخلفاء والأمراء للكتاب الذين كانوا يعملون بهذه الدواوين حيث أجزلوا لهم الهدايا وأغرقوا عليهم العطايا والهبات[3] ولهذا السبب كثر الكتاب وازداد التنافس بينهم ولا غرابة في هذا لأن العمل في ديوان الرسائل أصبح مصدر رزق لهم، وغدا التفوق في فن الرسائل وسيلة للحصول على ولاية أحد الأقاليم بل إنه غدا مؤهلا للوصول إلى منصب الوزارة ونستحضر في

[1]: جورج غريب، العصر العباسي، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1978م، ص 143،144.

[2]: شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط8، دت، ص 464.

[3]: حسام محمد علم، دراسات في النثر العباسي، القسم الثاني، ط4، 2007،2008م، ص 106.

هذا المجال أسماء: يحي بن خالد البرمكي، وابنه جعفر، ومحمد بن عبد الملك الزيات وإبراهيم بن المدبر الكاتب...[1]

3. التنافس التنديد بين الكتاب لشغل المناصب السالفة الذكر قد أدى إلى النهوض بالكتابة حتى بلغ بها إلى الذروة.
4. كما أن ازدهار الحياة العباسية ازدهارا حضاريا كبيرا كان من شأنه أن هيأ بغداد أن تصبح حاضرة العالم الإسلامي، ومركزه الثقافي.

3-أنواع الرسائل:

هناك أنواع عديدة من الرسائل منها ما هو رسمي ومنها ما هو خاص.

1. الرسائل الديوانية (الرسمية):

من المرجح أن معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه–هو أول من أنشأ ديوان الرسائل، ثم انتشر في سائر المدن الإسلامية، حيث أن أول من تقلدوا هذا الديوان كانوا عرباً، وهذا يدل عند بعض الدارسين أن ديوان الرسائل عربي النشأة، وليس بالفارسي ولا اليوناني كما يذهب لذلك بعض الباحثين ثم نافس الأعاجم العرب في هذا الميدان، فتعلموا العربية وأتقنوها وتفننوا فيها ومنهم من تقلد ديوان الرسائل، كسالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك الذي تقلده لهشام. "فديوان الرسائل نشأ نشأة عربية خالصة، ولكنه في أثناء سيره أمدته روافد فارسية ويونانية على يد هؤلاء الموالى الذين أتقنوا اللغة العربية، وعبروا بها شعرا ونثرا...[2]

وهذه الرسائل يتبادلها الخلفاء وقواد الجيش، وتصدر عن دواوين الحكام وتعنى بأمور الدولة وشؤونها السياسية.

---

[1]: حسام محمد علم، مرجع سابق، ص 106.

[2]: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 75.

موضوعها:

تطرقت الرسائل الديوانية إلى موضوعات عديدة ومتنوعة، فكان منها رسائل الجهاد وكان منها أيضا التي ذكرت الفتن والاضطرابات الداخلية التي شهدتها الدولة الإسلامية بعد الفتن التي جعلتها تنقسم وتتفتت.

ويتصل بهذا اللون من الرسائل ما كتبه كتاب الدواوين "في التهاني بما تحقق من فتوحات وظفر على أعداء المسلمين، وكان استهلال رسائل التهنئة بالفتوحات سنة متبعة بين الكتاب حتى لتكاد تقترب في هذه السمة من الخطابة الدينية التي تجري على هذه الطريقة من استخدام التحميدات والإكثار منها."[1]

وتضمنت الرسائل الديوانية أوامر الخلفاء بتولية من يختارونهم من الولاة أو عزلهم، وكانت الرسائل أشبه بمنشورات يوجهها الكاتب باسم الخليفة إلى عماله في الأصقاع المختلفة.[2]

خصائصه:

عمل النقّاد والأدباء القدامى على ضبط القواعد التي ينبغي للكتاب أن يسيروا عليها في كتابة رسائلهم، وتعتبر رسائل عبد الحميد إلى الكتّاب الدستور الذي وضع هذه القواعد فاتبعها الكتّاب، وقد وضع عبد الحميد القواعد الفنية التي سار عليها كتّاب الرسائل الديوانية بعده، وقد ظلت هذه الطريقة متبعة لدى كثير من كتاب الدواوين في ق 3 هجري.

وقد تضمنت الرسائل الديوانية آيات قرآنية لتدعيم آراء الكتاب واتجه بعضهم إلى تضمين أبيات شعرية.

---

[1]: فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، 1991، ص 24.

[2]: المرجع نفسه، ص 24.

2. الرسائل الاخوانية (الخاصة):

الترسل الاخواني هو الذي يكتبه الناس بعضهم إلى بعض في موضوعات إخوانية كالتهنئة، والتعزية والبشارة والعتاب، وغير ذلك من أمور الحياة يعبّر بها كاتبها عن الشوق والحنين للأهل والأصحاب.

ولا نجد في طيات الكتب التي تحدثت عن هذا النوع من الرسائل أية إشارة إلى ما كتب في العصر الجاهلي، ولعل السبب يعود إلى قلة الكتاب في ذلك الزمن أو إلى عدم اهتمام الرواة بما كتب لانشغالهم بالشعر الذي روي منه شيء كثير وأما في صدر الإسلام "فإن ما وصلنا منه رسالة إخوانية واحدة للنبي –صلى الله عليه وسلم–يعزي فيها معاذ بن جبل –رضي الله عنه–في ابن له مات، وقد ضاع أكثر رسائل العهد الأموي من هذا النوع وما بقي منها فهو في النصح والإرشاد والعتاب والتعزية والاعتذار والشفاعة والرجاء..."[1]

موضوعاته:

– رسائل الشوق والمودة:

وهي الرسائل التي كان يرسلها الكتّاب إلى إخوانهم وأصدقائهم الغائبين عنهم يتحدثون فيها عما يختلج ما في صدورهم من شوق وحنين ويدعون الله أن يلم شملهم.

–رسائل التهنئة:

كان الكتّاب يتبادلون رسائل التهاني مع أصدقائهم وأقاربهم في المناسبات السعيدة العامة والخاصة.

[1]: صبح الأعشى، مرجع سابق، ج9، ص5 وما بعدها.

- رسائل التعزية والمواساة:

تدور رسائل التعزية بشكل عام حول الحث على الصبر والرضا بقضاء الله وقدره والدعوة إلى عدم إظهار الجزع على المصائب، والتذكير بما يلقاه الصابرون من ثواب في الآخرة.

- رسائل المدح:

نجد بأن المعاني التي وظفها الكتّاب في رسائل المدح شبيهة جدًا بالمعاني التي وظفها الشعراء في قصائد المدح، كالمدح بالكرم، والشجاعة والمروءة ووصف الممدوح... وغير ذلك.

- رسائل الاعتذار:

عندما كان الكتّاب يتعرضون لخلاف مع إخوانهم وأصدقائهم وأقاربهم نجدهم يعترفون بذنوبهم ثم يلجئون إلى الاعتذار وطلب العفو والسماح.

3. الرسائل الأدبية:

وهي رسائل يكتبها شخص ما في موضوع ما، لا تطول لتصبح كتابا كبيرًا، بل هي تشبه المقالة أو البحث القصير، وكانت الرسائل الأدبية في أول أمرها تشبه ما يدور من المراسلات العادية بين شخصين، ثم طور المعنى مع الزمان، فصارت تشتمل القطع الأدبية المكتوبة لغرض خاص، كرسالة العذراء لابن المدبر ورسالة التدوير للجاحظ.

المبحث الأول: الدولة الرستمية.

1-تأسيس الدولة الرستمية:

كان عبد الرحمان بن رستم قد نزل عند قبيلة "لماية" عام (148م-765م) التي كانت على المذهب الاباضي فشاع أمره وكثر أنصاره[1]، فظهرت بذلك الإمارة الاباضية عام (160م-776م) والتي دامت قرنا وثلاثا وثلاثين عاما[2].

فقد "خرج أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إمام الاباضية من القيروان سنة 141م-758م لقمع شوكة قبيلة وفرجومة المقيمة في طرابلس واستخلف عنه القاضي عبد الرحمان بن رستم وبقي أبو الخطاب هناك إلى سنة 144م-761م حيث بعث لابن رستم ليلتحق به في وقائع الأمير محمد الأشعث، وما كاد ابن رستم يتصل في جنوده و عساكره الجرارة بابي الخطاب حتى بلغه نعيه وانهزام جيشه، وشاهد يومئذ ابن رستم في قابس حوادث ثورات الأهالي على العامل بها, فما وسعه إلا الرجوع إلى القيروان فصادفها كذلك في ثورة عامة عارمة فتسلل منها في أهله وولده وخرج مختفيا عن الأعين إلى أن حل بالمغرب الأوسط فنزل على قبيلة (لماية) بجبل منيع يسمى سوفجج.

فاقتبله أهالي الجبل بما يليق به من الإكرام وشاع يومئذ ذكره في الآفاق فوفدت عليه وجوه الاباضية من العلماء الأعيان واخذوا حينئذ في تدبير أمرهم وتنظيم شؤونهم من رفع شأن الخوارج بإنشاء دولة لهم , وبينما القوم يخوضون في ذلك إذ فاجأتهم بجنود ابن الأشعث فأحاطت بالجبل ثم ارتدوا عنه بأمر أميرهم ويومئذ خرج ابن رستم في أصحابه

---

[1]: صالح فركوس، تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي إلى نهاية الدولة الزيانية، مديرية النشر لجامعة قالمة، دط،2011، ج1، ص21.

[2]: يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2009، ج1، ص97-98.

يطلبون مكانا منيعا يتخذونه كمركز لبث دعوتهم ونشر مبادئهم بتلك النواحي فكان ذلك المكان بعمالة وهران على غيضة بين ثلاث انهر عند سفح جبل جزول*وهو(تيهرت) المعروفة اليوم بتاقدمت غرب المدينة الرومانية (تيارت) الحالية أي على نحو خمسة أميال منها"[1]

أسست تاهرت سنة144م من طرف عبد الرحمان بن رستم ... غير أن الاباضية المجتمعين في المدينة الجديدة لم يسندوا لإمامة إلى عبد الرحمان إلا حوالي 160هـ أو 162هـ[2]

وقد اختيرت تيهرت عاصمة لهذه الدولة نظرا لموقعها الجغرافي لذلك نجد ياقوت الحموي وهو يتحدث عن موقعها ويصف مناخها قائلا:

"تاهرت اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لأحدهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة بينهما وبين لمسيلة ست مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار، حتى إن الشمس بها قلّ أن تُرى"[3]. وروى أبياتا للشاعر بكرين حماد جاء فيها:

ما أخشن البرد وريعانه وأطرف الشمس بتاهرت

*هو جبل متصل بأرض السوس ويسمى عندهم بجبل درن وهو مايسمى في أرض الزاب الجزائري بجبل أوراس.

[1]: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، ط8، 2010، ج1، ص224.

[2]: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار العرب الإسلامي، دط، دت، ص19.

[3]: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مح2، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص7-8.

ويقول المقدسي:" تاهرت هي اسم القصبة أيضا هي بلخ المغرب قد أحدقت بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حوله الأعين وجل بها الإقليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب..."[1]

ويتفق المؤرخون أن تيهرت كانت محطة القوافل التجارية القادمة من مختلف الاتجاهات من الشرق (القيروان) ومن الغرب (فاس وسجلماسة) ومن الجنوب (الصحراء، السودان الغربي)[2]

ويعود سبب اختيار عبد الرحمن بن رستم لمدينة تيهرت دون غيرها من المدن رغبة في التقرب للماء وتزويد سكان الحواضر، وكانت مدينة تيهرت غنية بالماء حيث يقول البكري:" وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبليها ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى تاتش ومن تاتس شرب أهلها وبساتينها وهو في شرفيها وبيها جميع الثمار..."[3]

ومجمل القول تلك هي تاهرت الرستمية ...وتلك هي سيادتها التي بسطتها على جل أنحاء المغرب الأوسط أثناء القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي وتلك هي عظمتها التي فاقت بقية الإمارات الاباضية الأخرى التي كانت قائمة بأرجاء المغرب الأوسط... وتلك السيادة هي التي أشار لها شاعر الثورة الجزائرية الأستاذ مفدي زكريا بقوله:

---

[1]: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، 1902، ص228.

[2]: احمد بوزيان، تيارت من آل رستم إلى الأمير عبد القادر، دار المدار الثقافية، البليدة(الجزائر)، ط1، 2013، ص18.

[3]: البكري أبي عبيدة المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، دط، دت، ص66-67

وقف(بتيهرت) واستعرض سيادتها فيها يخبرك عن (تيهرت) سلمان[1]

2/ أصل نسب الرستميين:

تنسب الدولة الرستمية إلى مؤسسها عبد الرحمن ابن رستم واجمع المؤرخون على أن والده رستم من أصل فارسي، واختلفوا في نسبه فاعتبره بعضهم من أبناء رستم القادسية واعتبره آخرون من أبناء الملوك الساسانيين وهو: "عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سابور بن بابك بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي"[2] فكان انتقال عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط إيذانا بظهور الدولة الرستمية التي أصبحت قوة جديدة لها أثرها البالغ في تشكيل أحداث المغرب كله[3].

وقد جعل ابن خلدون عبد الرحمن بن رستم من أبناء رستم أمير جيش فارس في موقعة القادسية وقد عبر عن ذلك بقوله:" وكان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح وهو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية"[4].

ويقول ابن حزم الأندلسي أن بني رستم ينتمون إلى الملك الفارسي جاماسب بن فيروز، وجاماسب هذا هو عم انو شروان يقول:" وبنو رستم ملوك تيهرت من ولد جاماسب"[5]

---

[1]: رمضان شاوش، الدر الوقاد، من شعر بكرين حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، ط1،1385هـ-1966م، ص26.

[2]: جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، دت، ص62.

[3]: محمد زينهم محمد عزب، قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، ط1، القاهرة،2013 م، ص61.

[4]: ابن خلدون، كتاب العبر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دط،1484هـ،ج6، ص121.

[5]: ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت، ص511.

يتضح من الروايات السالفة على اختلاف مصادرها أن الرستميين ينتسبون إلى أصل فارسي[1].

كان أمراء هذه الدولة يسمون الأئمة، والمعتقد الإباضية لا يحصر الإمامة في أسرة واحدة، ولكن أعيان تاهرت رأوا أن يحصروها في أسرة عبد الرحمن بن رستم حتى لا يحصل تنافس بين القبائل ويرتكز نظام الحكم بهذه الدولة على قواعد الكتاب والسنة[2]، ومن أشهر أمراء هذه الدولة:

1. عبد الرحمن بن رستم (144هـ-168هـ)[3] وهو الأمير والمؤسس للدولة الرستمية ويعود أصله إلى فارس بويع أولا بالإمارة ثم بالإمامة.
2. عبد الوهاب (168هـ-188هـ)[4] بويع بعد وفاة أبيه عبد الرحمن، ووقعت فتن في عهده حيث تمكن من إخمادها بدهائه وسياسته.
3. أفلح بن عبد الوهاب (188هـ-238هـ)[5] بويع بالإمامة وكان صاحب نفوذ قوي وكانت تاهرت في أيامه هادئة مزدهرة.
4. أبو بكر بن أفلح (238هـ-241هـ)[6] بويع هذا الأمير من قبل قبيلة نفوسة إحدى قبائل تاهرت، وكان ميالا إلى الراحة مولعا بالأدب والفقه غير مهتم بالناحية السياسية بل ترك أمرها لأخيه أبي اليقظان وصهره.[7]

---

[1]: محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم، الكويت، ط3، 1987، ص76.

[2]: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص220.

[3] : محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، دت، ج2، ص71.

[4] : المرجع نفسه، ص72.

[5] : المرجع نفسه، ص72.

[6] : المرجع نفسه، ص72.

5. أبو اليقظان محمد بن أفلح (241هـ-281هـ)[1] كان قبل توليته الإمامة قد ذهب إلى الحج في أيام والده فسجنه الواثق الخليفة العباسي مع أخيه المتوكل، وخرج المتوكل من السجن إلى قصر الخلافة سرح أبا اليقظان وأحسن إليه، فعاد إلى تيهرت، وقد اكتسب خبرة بشؤون الملك.
6. أبو حاتم يوسف (281هـ-294هـ)[2] كان كثير المروءة واسع الإحسان محبوب لدى العامة.
7. اليقظان بن أبي اليقظان (294هـ-296هـ)[3] بويع بعد مقتل أخيه أبي حاتم ولم يتمتع بالملك طويلا.

3/ الحياة الثقافية والاقتصادية والفكرية في الدولة الرستمية:

أ-الحياة الثقافية:

إن الحياة الثقافية اعتمدت على مؤسسات تعليمية متعددة في طريقة التعليم فنجد منها:

***المساجد:**

كانت الناشئة حين تنتهي حفظها للقرآن الكريم وبعض الحديث وتتعرف على مبادئ العربية والعلوم في الكتاتيب تتجه إلى حلقات المساجد وما يلقي فيها الشيوخ من الدروس وموضوعات كثيرة، في مقدمتها تفسير الذكر الحكيم ورواية الحديث النبوي، والفقه وما يصور من التعاليم ، وتاريخ الرسول -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين والفتوح الإسلامية والأمة العربية، وكان هؤلاء الشيوخ من يقدم دروسه أوليات المواد والعلوم في

[1] : محمد مبارك الميلي، مرجع سابق، ص73.
[2]: المرجع نفسه، ص73.
[3]: المرجع نفسه، ص73.

الدراسات الدينية والدراسات النحوية، واللغوية، وكأنه هو ومن يماثلونه يشبهون معلمي التعليم الثانوي في عصرنا، حتى إذا أتقنها الناشئ وفقها حق الفقه انتقل إلى حلقات شيوخ الأعلى في المستوى العلمي يلقون محاضرات متعمقة في تفسير الذكر الحكيم، ويقرؤون ويشرحون بعض كتب الحديث النبوي المهمة ويلقون على الطلاب كتاب "الموطأ" لمالك أو ما يماثله حتى يتسع فهمهم وفقههم لتعاليم الإسلام في فروض الدين ووجوه المعاملات، ويحاضرونهم في قواعد العربية، ويقرؤون لهم بعض كتبها المهمة مع الشرح والتفسير كما يقرؤون لهم بعض كتب الشعر والنثر محاولين أن يغرسوا في نفوسهم السلفية العربية.

***الكتاتيب:**

أخذت تتأسس في الفتوح الإسلامية في بلدان الجزائر لتعليم الناشئة والناس القراءة والكتابة العربيتين و تحفيظهم القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية وتعريفهم بما ينبغي أن يحملوا من فروض الإسلام وتعاليمه، وكانت الكتاتيب تبنى مستقلة أو ملحقة ببعض المساجد، وأخذت المعارف في هذه الكتاتيب تتسع بمر الزمان، فشملت مبادئ الحساب وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ولكن العناية الكبرى إنما كانت تنصب على تحفيظ القرآن الكريم وبعض الأحاديث حتى يرسخ الإيمان في نفوس الناشئة وتأتي بعد ذلك مدارس الحساب وغيره من مبادئ العلوم[1].

وكانت الكتاتيب في المدن والقرى وفي كل تجمع للقبائل الجزائرية الجبلية والصحراوية وتكاثرت في المدن كثرة مفرطة، حتى كانت تعد بالعشرات فيطبنة وقسنطينة وبونة وبجاية وتاهرت والجزائر وتلمسان والميزاب وفي بسكرة.

[1]: شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزائر–المغرب الأقصى–موريتانيا–السودان) دار المعارف، القاهرة، ط1، دت، ص78.

***الزوايا:**

أخذت تتكاثر الزوايا في أنحاء البلاد الغربية جميعها، وكانت الزوايا تشتمل على مسجد تؤدى فيه فروض الصلاة وأبنية لسكنى الطلبة الغرباء والفقراء (الزهاد)، وكانت تحبس عليها أوقاف كثيرة ينفق منها على شيوخها الذين ينهضون فيها بدروس العلوم الدينية واللغوية وعلى طلابها الغرباء النازلين بها من الفقراء وكانت بذلك دار تعليم ودار عبادة، وكثيرا ماكان يدفن فيها الشيخ الصالح الذي أقامها، فينصب له ضريح فيها وتقام عليه قبة، ويقصده الناس للزيارة والتبرك به.

ويعد المؤسس للزاوية المسؤول الأول عنها[1].

***المكتبات:**

اعتبرت المكتبة المكان الحافظ للكتاب وقد وجدت في الدولة الرستمية مكتبة ضخمة حيث اهتم الرسميين بشراء الكتب واستيرادها من مختلف الجهات حيث يقول السيد عبد العزيز:" واشتهرت تاهرت في عصر الرستميين بمكتبتها المعصومة التي كانت تضم نحوا من 300 ألف مجلد في مختلف أنواع العلوم والفنون وقد خربت هذه المكتبة على أيدي الفاطميين، وبعد أن اخذوا منها ما اهتموا به من كتب الرياضيات والفلك والهندسة والطب"[2].

[1]: شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزائر–المغرب الأقصى–موريتانيا–السودان)، مرجع سابق ص80.

[2]: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية(مصر)، دط، دت، ص490.

ب/ الحياة الاقتصادية:

شهدت بلاد المغرب الأوسط ومناطق من المغرب الأدنى في عهد الدولة الرستمية ازدهارا تجاريا كبيرا ونموا عظيما في حركة الاقتصاد حيث ساعد استقرار هذه المناطق تحت حكم الرستميين على ازدهارها.

وكان نفوذ الرستميين يشمل مناطق زراعية واسعة تخترقها الوديان وتنفجر فيها العيون، واهم هذه الوديان وادي الشلف...هذه الوديان بالإضافة إلى الأمطار الغزيرة كان لها أثر كبير في تكوين السهول الخصبة في المغرب الأوسط. وكانت بالدولة الرستمية واحات خصبة في وسط الصحراء أهمها واحة وارجلان التي كانت تشتهر بنخيلها وزيتونها[1].

وإلى جانب الثورة الزراعية التي نتجت من وفرة المياه وخصوبة الأرض كانت الدولة الرستمية تعتمد على التجارة والفلاحة واتسعت سوق التجارة للدولة الرستمية في الداخل والخارج فأصبحت لها مبادلات تجارية مع السودان والأندلس والمغرب الأقصى وتونس ومصر وبلاد الشام وبغداد واليمن.

وكان لها مراسي عديدة على سواحل البحر المتوسط بالأسواق التجارية المزدهرة والحصون العامرة، والمساجد والمدارس، وازدهرت فيها كذلك الفلاحة حيث غرس حول تيهرت بساتين من أنواع الثمار كثيرة الأشجار وهي شديدة البرد كثيرة المطر[2].

كما ازدهرت الصناعة حيث نجد صنائع المجتمع الحضري تختلف عن المجتمع البدوي، فنجد مثلا صناعات هذا الأخير ترتكز على توفير الطعام والملبس والخيام وبعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن للناس وبالتالي فهي تعتمد على ماهو أساسي

[1]: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص490.

[2]: صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر-من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين-، دار العلوم للنشر والتوزيع، دط، دت، ص57-58.

وضروري، ومنه كان التصنيع في هذا المجتمع ضيق فنجد النجار والحداد والخياط والحائك وغيرها.

ويختلف الأمر بالنسبة للمجتمع الحضري، حيث يكثر السكان ويزداد تطلعهم إلى ماوراء الضروري أعنى إلى الكماليات[1].

وعليه فالصناعة في بلاد المغرب الأوسط لم تكن على وتيرة واحدة ومستوى واحد، نظرا لتعدد مستويات نواحيه، فهناك نواح يسودها المجتمع البدوي، وهنا تظهر الصناعات التي تتلاءم وطبيعة المجتمع.

وعليه فقد رافق هذه الحياة الاقتصادية وجود فوارق اقتصادية بين الناس كما شهدت الدولة الرستمية رخاءاً اقتصاديا ترك أثره في الحياة الاجتماعية.

ج/ الحياة الفكرية:

ارتبطت الحياة الفكرية في عصر بني رستم ارتباطا كبيرا بالمذهب الإباضي، إذ كان داعية الاباضية الأول سلمة بن سعيد قد تمكن من اختيار أربعة من معتنقي أفكاره الاباضية وأطلق عليهم اسم حملة العلم، وأوفد هذه الجماعة إلى البصرة لتلقي العلم على يد داعية الاباضية الأكبر أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[2]، حيث عادت هذه الجماعات إلى بلاد المغرب وبدأت في نشر ثقافة المذهب الإباضي، وذلك في حلقاتهم التي انتشرت في جهات المغرب الأدنى وافريقية وفي تلك الحلقات لحملة العلم وأتباعهم في علم الأصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة وآراء الفرق وعلوم اللغة والفلك والرياضيات، وكانت الحلقات بمثابة

[1]: جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، ص78.

[2]: المقدسي، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، ص240.

المدارس التي تلقن طلبتها العلوم النقلية والعقلية في وقت واحد، كما كانت مراكز لتعريب البربر و تحريضهم.

فكان نشاط الحركة الفكرية والاقتصادية في الدولة الرستمية وخاصة في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) مجالا عظيما لتنافس بين إتباع المذهب الاباضي والمذاهب الأخرى.

4/ اهتمامهم بالعلوم والآداب:

لا بد لدولة تنشد الاستقرار والاستمرار أن تهتم بالعلم والعلماء، وان تنشئ لذلك الدور وتشيد المكتبات، وتسعى إلى إعمارها وجلب الكتب إليها من كل مكان، وهذا ما قامت به فعلا الدولة الرستمية فما أن استقر حكم بني رستم بتيهرت وما حولها حتى بادروا إلى تأسيس المدارس والمكتبات وغدت تيهرت تضاهي عواصم العالم الإسلامي الأخرى بل وتتفوق على كثير منها في جوانب عديدة" فقد نشأت الدولة الرستمية في بداية تاريخ المسلمين العلمي على تجهيز المسلمين بالعلوم والمعارف بعدما قضوا لبانتهم من الآداب العربية وبلغوا فيها الدرجة السامية أيام بني أمية "[1].

واهتم الرستميون بالكتب المشرقية وخاصة الدينية" وقد عني الرستميون بنقل الكتب التي تظهر بالمشرق منبع الحركة الفكرية الإسلامية، ولكن عنايتهم بالعلوم الدينية اشد. فكانوا أئمة في العلم كما كانوا أئمة في السياسة يتدارسون التفسير والحديث والفقه والكلام والأخبار والأشعار والعلوم الرياضية. واشتهروا بالتنجيم والرمل"[2].

وقد كان أئمة الدولة الرستمية حكاما وفي الوقت نفسه علماء ومدرسين يلقون الدروس على الرعية في المساجد، ويبدوا أن هذا الاهتمام كان له أثره على العلوم عامة وعلى الأدب

[1]: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مرجع سابق ص77.

[2]: المرجع نفسه، ص77.

بصورة خاصة فقد "نفق سوق العلوم والأدب في ظل هذه الدولة وظهر أول جيل من الأدباء الجزائريين الحقيقيين، عالجوا الشعر وأحسنوا معالجته، ولكن ظل يتسم بسمات المدرسة الشرقية المحافظة.

وأساليب هذا الشعر متينة بحيث لانجد فيه اختلافا من حيث الصناعة عما يعرف من شعر المشارقة على ذلك العهد. وأما الإنشاء فهو مرسل مطبوع لايلتزم فيه سجع ولا يتكلف فيه توشية"[1].

ويذكر أن الإمام عبد الوهاب أرسل إلى إخوانه بالبصرة في العراق ألف دينار ليشتروا له بها كتب ولما وصلتهم اتفقوا على أن يشتروا بها كلها رقا* فاستنسخوها على نفقتهم فكانت وقرا أربعين جملا ولما بلغته اجتهد في مطالعتها أوقات فراغه من الأشغال، وهذا يدل على ازدهار العلم في المشرق.

وقد برز الإمام عبد الوهاب في العلوم الدينية ونبغ الإمام أفلح في الأدب وله في فضل العلم ومزاياه والتحريض عليه قصيدة " كانت المدارس تعلمها للتلاميذ وكان التلاميذ يحفظونها وينشدونها في المناسبات يقول فيها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارَا

وذو حياة عل جهل ومنقصة كميت قد ثوى في الرمس إعصارَا[2]

ومن أبرز شعراء الدولة الرستمية الشاعر بكر بن حماد الزناتي ومن شعره:

---

[1]: محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،2006، ص74.

*رقا: الرق بمعنى الجلد الرقيق كانوا يكتبون فيه قديما وكانت الكتب منه ثقيلة ضخمة.

[2]: محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، مؤسسة تاوالت الثقافية، دط،2010، ص334-335.

خلقن الغواني للرجال بلية فهن مواليا ونحن عبيدها

إذا ما أردنا الورد في غير حينة أتتنا به في كل حين خدودها[1]

أما في ميدان النثر فقد كتب الأئمة الرستميين رسائل وخطب منها ماثبت على الإمام أفلح بن عبد الوهاب ورسائل لعبد الوهاب بن عبد الرحمن ولأبي اليقظان محمد بن أفلح وغيرها من الرسائل التي احتفظ بها في مؤلفات عديدة.

وبهذا أصبحت تيهرت معدن العلم والأدب ومحط رحال الطلبة فقد نسب إليها علماء كثيرون في مختلف العلوم والفنون.

5/ انهيار وسقوط الدولة الرستمية:

استمرت الدولة الرستمية طوال فترة وجودها وهي تحاول تنظيم دولة استقلالية عن جسم الدولة العباسية بمبادئها الاباضية، واستمرت أكثر من أربعة عشر عقدا، وكانت نهايتها على يد الفاطميين[2] حيث استولى أبو عبد الله الشيعي على دولة تيهرت بكل سهولة لأنه وجد اختلاف الكلمة بين الحكومة والشعب نتيجة لما انتشر عن ذلك يومئذ من الفتن والاضطرابات التي أخضعت من هيبة الحكومة أما رعيتها فتضعضعت بفقد جندها الحامي مع إهمالها لتقوية الجيش.

فلما قصد أبو عبد الله الشيعي تيهرت بعد أن قضى على الدولة الأغالبة، "خرج إليه أهلها متبرئين من اليقظان وواعدين له بفتح المدينة، ثم خرج اليقظان في جمع من أهل بيته ولقي أبا عبد الله الشيعي مسلماً مسالماً، وخشيت دوسرا أن يبقى عليه فأمته مع أخ لها

[1]: محمد طمار، الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص78.

[2]: طالب راجي الخزاعلة، الدولة الرستمية الاباضية في الجزائر(137-297هـ/754-909هـ)، زمزم ناشرون وموزعون، عمان،ط1، 2015،ص117.

ووعدته نفسها زواجا إن هو ثأرها من قتله أبيها فأتى القتل على اليقظان ومن معه، وفرت دوسرا فلم يوقف لها على أثر وسقطت الحكومة والأمة في يد الشيعة"[1]

المبحث الثاني: فن الترسل الرستمي.

لا نعثر إلا على القليل من الرسائل التي كتبت في هذا العهد، ونجد بأن كتابها هم في الأغلب من أئمة الدولة الرستمية والرسائل في مجملها ذات طابع سياسي فهي رسائل ديوانية تتناول شؤون الدولة وسياسة الحكم في ذلك العصر وتحتكم إلى قواعد الكتابة الإنشائية المعروفة في الأدب العربي، ومن بين المصادر التي احتفظت بهذه الرسائل نجد كتاب "الأزهار الرياضية" للباروني وكتاب "سير الأئمة وأخبارهم" لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر، وكتاب "الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية" لابن سلام الاباضي ومن الكتب التي نقلت عنهم نجد" تاريخ الأدب العربي" لمحمد طمار وغيره.

كما أن بعضا من الرسائل اشتملت على إشارات تدل على أن فعل الكتابة كان كثير في العهد الرستمي، منها ماورد في رسالة للإمام أفلح بن عبد الوهاب في حق نفاث يقول فيها:" وذكرتم أمر نفاث، وأكثرتم فيه الكتب، ووصفتم عنه أشياء"[2].

وسنتحدث عن أشهر كتاب تلك الرسائل التي تحدثت عنهم واحتفظت بهم المصادر التي أرخت للدولة الرستمية.

[1]: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مرجع سابق، ص87-88.

[2]: الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ق2، دط، دت، ص201.

1) أعلامه:

من سير هؤلاء الأئمة الذين بقيت بعض الكتب تحتفظ برسائلهم، ولاشكأن كثيرا منها ضاع أو أتلف أو بقي بين رفوف الخزانات الخاصة، فسأذكر سيرهم وفق الترتيب التاريخي لظهورهم.

***الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن (حكم:171-208/787-823م)[1]**

هو ثاني الأئمة الرستميين، كناه ابن عذارى بابي الوارث، وهو الوحيد الذي أورده هذه الكنية.

تلقى العلم بالقيروان ثم بتيهرت عن أبيه عبد الرحمن وغيره من حملة العلم، عاصر الربيع بن حبيب إمام الاباضية بالبصرة بعد أبي عبيدة وجابر بن زيد.

عالم متضلّع من أكبر علماء زمانه، اشترى وقر أربعين بعيرا من الكتب من البصرة، فلما تصفحها وقرأها وأتمها قال: "الحمد لله الذي علمني كل مافيها من قبل، ولم استفد منها إلا مسألتين لو سئلت عنها لأجبت فيها قياسا"[2].

وقد تصدر للتدريس فكانت له حلقات علم بتيهرت وجبل نفوسة، وتخرج على يديه خلق كثير، منهم ابنه أفلح، فضلا عن كثير من علماء نفوسه، حيث قضي بجبل نفوسة سبعة أعوام يلقي دروس الوعظ على العامة وتذكر بعض المصادر أنها في فقه الصلاة.

---

[1]: لجنة البحث العلمي في جمعية التراث معجم أعلام الاباضية (من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر "قسم المغرب الإسلامي")، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، 1999م، ج2، ص 283-284.

[2]: المرجع نفسه، ص 283.

كان تاجرا بارعا لم تشغله تجاربه التي مارسها في عهد أبيه، ولا الحكم الذي تولاه بعد ذلك عن المطالعة، فكان من عادته إذا فرغ من صلاة العشاء اخذ كتابا ينظر فيه.

ولقد ترك عبد الوهاب كتابا وصفه البرادي بأنّه ضخم وهو سفر تامٌ، ألفه عبد الوهاب جوابا لأهل نفوسه في مسائل ونوازل استفتوه فيها، يقول عنه ابن الصغير، مؤرخ الدولة الرستمية: " كان لعبد الوهاب كتاب معروف بـ"مسائل نفوسه الجبل"...وكان هذا الكتاب في أيدي الاباضية مشهورا عندهم معلوما، يتداولونه قرنا عن قرن ... فأخذته من بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه"[1].

ولعل الكتاب المعروف اليوم ب "مسائل نفوسه" جزء من هذا السفر.

بلغت الدولة الرستمية في عهد الإمام عبد الوهاب شأوا بعيدا في الحضارة، فكانت لها علاقات الند للند مع الأمويين بالأندلس، ومع الاغالبة في افريقية، ومع المدراريين في جنوب المغرب الأقصى، وعلاقات تجارية وطيدة مع إفريقيا جنوب الصحراء، ومع إباضية المشرق .... فإذا كان عبد الرحمن بن رستم قد وضع أسس الدولة، واهتم بسياستها الداخلية، فإن عبد الوهاب أعطى لها أبعادا أخرى، نعرفها من شهادة ابن الصغير، إذ يقول:"...كان ملكا ضخما، وسلطانا قاهرا...قد اجتمع له من أمر الاباضية وغيرهم مالم يجتمع له من الجيوش والحفدة مالم يدن لغيره، واجتمع له من الجيوش والحفدة مالم يجتمع لأحد قبله...حاصر مدينة طرابلس، وملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان..."[2].

والإمام عبد الوهاب، هو الإمام الأكثر ذكرا في المصادر-الاباضية وغيرها-ولعل ذلك يعود إلى التأثير الكبير الذي تركه في الحياة الدينية، والاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، السياسية، العسكرية.... فقد اتسعت دولته من حدود مصر شرقا إلى مدينة تلمسان في

[1]: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص 39.

[2]: أخبار الأئمة الرستميين، مرجع سابق، ص 37-39.

أقصى المغرب الأوسط غربا، بل إن هيمنته شملت في بعض الأحيان دولة بني مدرار في المغرب الأقصى...[1]

وفي عهده الذي دام سبعا وثلاثين سنة(171-208هـ) عرف الرستميون قمة مجدهم الحضاري في الداخل والخارج، نشّطوا الزراعة، ووفّروا أسبابها، وروّجوا التجارة، ووفروا لها الأمن وزهت الحياة الثقافية وارتقت، فقصد عاصمة الرستميين العلماء والطلبة والناس من مختلف المذاهب وسمحوا بحرية التعبير والفكر، فتنافست التجارة والثقافة في ادوار لا تزال بحاجة إلى البحث والدراسة من قبل الباحثين والأكاديميين.

وفي عهد عبد الوهاب انقسم الاباضية إلى فرقها المغربية المشهورة مثل فرقة النُّكّارية التي أنكرت إمامة عبد الوهاب، والخَلفيَّة التي حاولت الانشقاق عن جسم الإمامة والوهابية التي بقيت مخلصة للإمام والإمامة.

كان الإمام عبد الوهاب رجل علم وحكم وقيادة، ساس الرّعية فدانت له، وناظر المنشقّين فكان الحاكم الحكيم، وقاد الجيوش فكان البطل، وأدار دواليب الدولة فدرّت له مجداً وتألقا...[2]

دبر له أعداؤه مكيدة اغتيال باءت بالفشل.

وتوفي في سنة (208هـ/823م) تاركا الدولة قوية مهيبة السلطان، وخلفه ابنه أفلح في الإمامة بلا ولاية للعهد سابقة ولكن بترشيح من أصحاب الحل والعقد.

---

[1]: معجم أعلام الاباضية، مرجع سابق، ص 283.

[2]: المرجع نفسه، ص 284.

***أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (حكم بين: 208-258هـ/ 823-871م)[1]**

ثالث الأئمة الرستميين، تلقى الإمام أفلح العلم بتيهرت عن أبيه عبد الوهاب، وعن جده عبد الرحمن، وعن غيرهما من مشايخ تيهرت.

كان عالما من أكبر علماء زمانه، فقيها وشاعرا، وقد تصدر صغيرا للتدريس، وإلقاء العلوم على اختلاف فنونها، فقعد بين يديه أربع حِلق، في الفقه والأصول، واللغة، وعلم الكلام، وتخرج في مدرسته جمع من العلماء منهم: ابناه أبو اليقظان، أبوبكر، نفاث بن نصر النفوسي، سعيد بن يونس بن وسيم بن يونس الويغوي النفوسي...

كان من العلماء المشهورين والمعدودين، انفرد بآراء في علم الكلام، واعتبر لذلك إماما وترك العديد من الرسائل العلمية.

له جوابات وفتاوى في النوازل؛ كما أن له اهتماما بالحديث وروايته.

من مؤلفاته ما طبع والكثير حيز المخطوط. وفي سؤالات السوفي روايات فقهية وفتاوى رويت عنه، وقد بلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما، وكان إلى ذلك كله شاعرا مجيدا، له قصيدة رائية رائعة في التحريض على طلب العلم مطلعها:

العلم أبقى لأهل العلم آثاراً يريك أشخاصهم روحا وإبكاراً.

بلغت الدولة الرستمية في عهده من الرقي مبلغا كبيرا، ووصلت إلى أوج ازدهارها، يقول ابن الصغير:" عمّر في إمارته مالم يعمر أحد ممن كان قبله، فأقام خمسين عاما حتى

[1]: معجم أعلام الاباضية، مرجع سابق، ص 60-61.

نشأ له البنون وبنو البنين، وشمخ في ملكه، وابتنى القصور وعمرت معه الدنيا، وكثرت الأموال، وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات"[1].

لقد أدار أفلح الإمامة بكياسة ومهارة، وعدل ودهاء نصف قرن كامل، وفي رواية ستين عاما، ولقد عاصر بذلك ستة من الخلفاء العباسيين هم: الرشيد، والأمين، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل.

ويبدوا أن هذا هو الذي أدى بالشيخ على يحيى معمّر إلى القول:" ولعل الإمام أفلح يعتبر أعظم من تولى الإمامة في المغرب الإسلامي، وأنا حين أطلق هذا الحكم أضع في الاعتبار مراعاة التطبيق لأحكام الإسلام، وتنفيذها مع طول المدة، وإقبال الدنيا وفيضان الثورة بين جميع الطبقات ...كان إذا وعد وفى، وإذا قال عمل، وإذا أمر بالإحسان ائتمر، يقيم الحدود ويقف عند النواهي للدين، ولا تأخذه في الله لومة لائم"[2]

وفي عهده تم القضاء على الثورة التي قامت في نفوسة، أيام والده عبد الوهاب ثورة خلف بن السمح، كما ظهرت النّفاثية نسبة إلى تلميذه نفاث بن نصر، الذي انتقده في سيرته، واتهمه بالبذخ في حكمه...إلاّ أن نفاثا تاب ورجع عن أقواله.

كان الإمام أفلح رجل علم وسياسة وقيادة ودولة علم فعلّم، وساس الرعية فدانت له، وقاد الجيوش فكان البطل، وأدار دواليب الدولة، فدرت له مجدا وتألقا وحضارة.

توفي سنة 258هـ/871م على أكبر تقدير، وخلفه ابنه أبو بكر، وكان ابنه الأكبر أبو اليقظان في سجن العباسيين آنئذ، قبضوا عليه في موسم الحجّ.

---

[1]: أخبار الأئمة الرستميين، مرجع سابق، ص53.

[2]: على يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط1، 1995،ج4، ص 68.

***محمد بن أفلح بن عبد الوهاب (أبو اليقظان) (حكم: 261-281هـ/ 874-894م)[1]**

خامس الأئمة الرستميين، وواسطة العقد عددا ولد بتيهرت ونشأ بها.

تلقى العلم عن أبيه أفلح، وجدّه عبد الوهاب، وكان كما وصفه ابن الصغير-أحد معاصريه:" مربوع القامة، ابيض الرأس واللحية، زاهدا ورعا ناسكا"[2].

كانت له حلقات علم بتيهرت الرستمية، فتخرّج على يديه الكثير من المشايخ الأعلام، وكان من المكثرين في التأليف، له "رسالة في خلق القرآن" وكتب في الرد على المخالفين، وألّف في الاستطاعة وحدها أربعين كتابا، وله رسائل عديدة وجوابات مختلفة، منها ما وصلنا واغلبها عبثت به يد الأيام.

تولى الإمامة سنة 261هـ/874م، وهو الراجح وبعض قال 241هـ/855م، ليجعل من حكمه أربعين سنة، لان ابن الصغير أكد وفاته سنة 281هـ/894م

وقد ابتلى بالإمامة في ظروف صعبة جدا، إذ ترك له أخوه أبو بكر الأمة متناحرة بعد أن عصفت بها فتنة ابن عرفة، لذلك لم تستقر له الإمامة إلا سبع سنين قضاها في تنظيم وتصفية صفوف المجتمع من آثار الفتنة، فإليه يرجع الفضل في القضاء عليها وبث الأمن والسلم والطمأنينة.

لم يدخل أبو اليقظان تيهرت منتصراً، ومعلنا نهاية فتنة ابن عرفة، ورافعا شعار "عفا الله عما سلف" إلا في سنة 268هـ/881م، حيث عقد صلحا مع القبائل كلّها، وشمّر عن ساعد الجدّ، ليواصل مسيرة أبيه أفلح وجدّيه عبد الوهاب وعبد الرحمن وينقذ البلاد من الفوضى ويعيد لها هناءها وازدهارها.

---

[1]: معجم أعلام الاباضية، مرجع سابق، ص359.

[2]: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، مرجع سابق، ص 81.

وتذكر المصادر أنّه سجن ببغداد مع أخ لخليفة عبّاسي قبل توليه الحكم سنة 261هـ/874م، قبضت عليه عيون بني العباس في موسم الحج أثناء أدائه للفريضة وقضى في سجن بغداد سنين عدداً، وتعلم خلالها الكثير ن فنون السياسة والكياسة، خاصة وأنّه كان مع أمير استدعى بعد خروجه من السجن لتولي الخلافة–لعله المعتمد العباسي–الأمر الذي جعل الأمير يطلق سراح أبي اليقظان، ويسهل له العودة إلى وطنه بالمغرب، ليتولى هو الآخر الإمامة في دولته.

وكانت أيام أبي اليقظان لا تشبه إلا بأيام جده عبد الرحمن بن رستم في الحكم والعلم، والعدل، والورع، واتفاق الكلمة بعد اختلافها.

وعرفت الدولة الرستمية في عهده انفتاحاً كبيرا على العلم والعلماء، حيث اهتمّ فقهاء المذاهب المختلفة بالمناظرات الفقهية والكلامية، وكثرت المجالس والحلقات.

توفي سنة 281هـ، ولم تتجاوز تركته سبعة عسر ديناراً، وخلف من الأولاد الذكور عددا منهم:

ابنه اليقظان الذي يكنى به، يعقوب أحد الأئمة الرستميين من بعد، ويوسف وأبو خالد وعبد الوهاب ووهب[1].

*وسيل بن سينين الزواغي (أبو الخطاب) (300–350هـ/912–961م)[2]

من أعلام قبيلة زواغة بجبل نفوسة، نشأ بها ثمّ انتقل إلى زويلة بليبيا، وفيها لقي أبا نوح سعيد بن زنغيل، وعبد الله بن زوزتن، وأبا الربيع سليمان بن زرقون، فأخذ عنهم العلم، كما عاصر أبا أيوب بن كلاب الزواغي بـ "ريضة".

[1]: معجم أعلام الاباضية، مرجع سابق، ص359.

[2]: المرجع نفسه، ص445.

وهو عالم مقدّم في قومه، تولى القضاء بمدينة "ويضوى بنى مسجد "بتاصروت" وهو مسجد بقي أثره إلى عهد الدرجيني يعرف "بمسجد وسيل".

وبعد وفاته قالت امرأة معافريّة من ذرية أبي الخطاب عبد الأعلى(ت:144هـ/761م) "لمّا مات أبو الخطاب[وسيل] مات الحقّ، فبقيتم يا زواغة هائمة ببطون الاخرجة، وعمائم كالأبراج، ونعال مبلجة وأحكام متعرجة"[1]

2/ موضوعاته:

لقد شهدت فترة بني رستم ازدهار فن الكتابة ذلك أنها كانت دولة فتية وفي حاجة إلى بسط سلطانها على الأقاليم والولايات التي تحت قبضتها ولم يكن من وسيلة للاتصال في ذلك الزمان غير الرسائل بما تحمل من تعليمات وأوامر لولاة تلك المناطق، فقد كانت الرسائل بمثابة المراسيم والتعليمات الرسمية التي تصدر عن السلطة الحاكمة، لكن تلك الرسائل المفترض أنها تُبودلت بين أئمة الدولة الرستمية وولاتها، لم يبق منها إلا القليل بعد أن عاثت فيها يد البشر فسادا، أما مايسمى بالرسائل الاخوانية فلم يبق منها لا قليل ولا كثير ولاشك أنها هي الأخرى كانت موجودة وتبادلها الأصدقاء والإخوان والعلماء فيما بينهم على عادة أهل ذلك الزمان، وفيما يخص الرسائل الديوانية فموضوعاتها اهتمت بشؤون الدولة الرستمية وما كان يجري فيها، فبعضها تكلم عن الفتن التي حدثت في ذلك الوقت مثل رسائل الإمام أفلح في شأن نفاث بن نصر النفوسي، والرسائل الموجهة إلى نفاث نفسه ومنها ما تطرق إلى العقيدة ووجوب التمسك بالدين مثل رسالة الإمام عبد الوهاب إلى أهل طرابلس، ومنها ماكان موجها إلى جماعة المسلمين بالنصح والتوجيه مثل رسائل أفلح إلى من كان تحت لوائه من المسلمين.

[1]: معجم أعلام الاباضية، مرجع سابق، ص446.

والملاحظ أن تلك الرسائل يغلب عليها طابع الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني الذي ميز الحكم الرستمي.

وقد تأثر الكتاب في كتاباتهم بالمشرق تأثرا واضحا في كتابة رسائلهم، ونجد رسائل كثيرة وعديدة للإمامين عبد الوهاب وابنه أفلح لأن فترة حكمهما طويلة وكانا على قدر كبير من العلم والأدب والبلاغة.

3/ خصائصه البنائية:

لم تخرج الرسائل الرستمية عن الهيكل البنائي المعروف لفن الترسل في الأدب العربي، فقد اشتملت على مقدمة ومضمون وخاتمة، وفيما يأتي سنتحدث عن كل عنصر من تلك العناصر وما تضمنه.

أ/ المقدمات:

تضمنت مقدمات الرسائل الرستمية ماكان متعارفا عليه في ذلك الوقت، فكانت تشمل بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والمرسل والمرسل إليه، ونجد في بعضها الثناء والحمد على الله وسؤاله الصلاة على الرسول الكريم ومن هذه المقدمات:

ماجاء في رسالة الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد، حيث يقول بعد البسملة:

" من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد، سلام الله عليك وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله."[1]

وما جاء في رسالة محمد بن أفلح إلى جميع رعيته إرشاداً ونصحاً، يقول بعد البسملة:

[1]: عبد الله الباروني، الأزهار الرياضية، ص187.

" من محمد بن أفلح إلى جميع من بلغه كتابنا من المسلمين، سلام عليكم وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، واسأله الصلاة والسلام على نبي الرحمة وهادي الأمة صلى الله عليه وعلى آله وسلم"[1]

وكذلك ماجاء في رسالة الإمام عبد الوهاب وهي جواب إلى جبل نفوسة على الرسالة التي وصلته عنهم يقول فيها:" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله (من أمير المؤمنين عبد الوهاب) إلى جماعة المسلمين أما بعد"[2]

ومن النماذج كذلك رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن التي يقول فيها بعد البسملة:" وهذه شريعة رسالة كتب بها عبد الرحمن بن عبد الوهاب إمام تاهرت إلى أهل طرابُلس"[3]

ب/ المضمون:

يقع الانتقال من المقدمة إلى المضمون في الرسائل الرستيمة بكلمة:" أما بعد"[4]وهي للدخول إلى موضوع الرسالة فقد كانت موضوعات ومحتوى الرسائل الرستمية دينية وسياسية هذا لان الأئمة الرستميين أهل فقه ومعرفة بأمور الدين متمسكون بالعقيدة قولا وفعلاً، وذلك لأنها كلها رسائل ديوانية أشارت إلى بعض ماحدث في تلك الفترة من حكم بني رستم، كما في رسائل الإمام أفلح بن عبد الوهاب في شأن نفاث ورسائل الإمام عبد الوهاب إلى جبل نفوسة في مسالة "خلف بن السمح " وبعض من تلك الرسائل كان موضوعها وعظي ديني

---

[1]: المصدر نفسه، ص241.

[2]: المصدر نفسه، ص 149.

[3]: ابن سلام الاباضي، الإسلام وتاريخه من وجهة نظر اباضية، تح: د.ق.شقارتزو سالم بن يعقوب، دار اقرأ، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م، ص107.

[4]: ناصر بوصوري، فن الترسل في العهد الرستمي–مقاربة أسلوبية–، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2007، ص65.

مثل رسالة عبد الوهاب إلى أهل طرابلس يعرفهم فيها بالإسلام ويدعوهم إلى التمسك بالشريعة وموالاة أهل الهدى والبراءة من أهل الضلالة وبعضها كان موضوعها نصح وإرشاد وتوجيه من أئمة بني رستم إلى ولاتهم ورعيتهم كما نجد في رسالة الإمام أفلح بن عبد الوهاب لأبي البشير بن محمد ينصحه ويحذره في الوقت نفسه في قوله: "ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لاتنساها، وذكر في صغير خلقت وفي عظيم ماخلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم ومن عافى به من فاز برحمته..."[1].

ج/ الخاتمـــة:

لم تخرج خواتم رسائل بني رستم عما كان متداولا ومعروفا في نهايات الرسائل الأدبية، فنجد أن بعضها يختتم بجمل أمرية تفيد النصح مثل ماجاء في رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن إلى جبل نفوسة في مسألة خلف بن السمح:" وتوبوا إلى ربكم وارجعوا إلى التوبة لعلم تفلحون"[2].

وأيضا رسالة الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد:" فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها إلينا على هذا مضى من كان قبلك"[3].

كما ختم بعضها بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ففي إحدى رسائل أفلح بن عبد الوهاب نجد قوله:" عصمنا الله وإياكم ورزقنا العمل بطاعته فإنه ولي ذلك ومنتهى الرغائب لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم"[4].

---

[1]: الباروني، الأزهار الرياضية، ص185.

[2]: المصدر نفسه، ص 196.

[3]: المصدر نفسه، ص 188.

[4]: المصدر نفسه، ص 189.

ونجد أيضا أن بعض الرسائل الرستمية قد اختتمت بالدعاء والسلام مثل ماجاء في رسالة أفلح بن عبد الوهاب إلى عامة المسلمين:" والله اسأل أن يوفقنا وإياكم لطاعته والقيام بحقه وبرحمته انه قدير والسلام عليكم ورحمة الله"[1].

فقد نجد رسائل كثيرة للإمامين عبد الوهاب بن عبد الرحمن وابنه أفلح بن عبد الوهاب لان فترة حكمهما طويلة وكانا على قدر كبير من العلم والأدب فالرسائل الرستمية لم تخرج على نمط الرسائل الشرقية، فقد استهلت المقدمة بحمد الله ثم ذكر المرسل والمرسل إليه من فلان إلى فلان وعقبها الحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قوله "أما بعد" وتختتم هذه الرسائل إما بالدعاء أو السلام.

[1]: الباروني، الأزهار الرياضية، مصدر سابق، ص 218.

المبحث الأول: البناء الهيكلي للرسائل.

لكل نوع أدبي صفات ومميزات عن سائر الأنواع الأخرى، فالرسالة لها من المميزات والخصائص التي تميزها عن المقامة أو الخطبة أو ما إلى ذلك من الأنواع ومن مميزاتها بناؤها الهيكلي الذي يعد المنهجية المتبعة في كتابة الرسائل.

والمعروف أن الرسائل لا تتقيد ببناء واحد وموحد بل تختلف بحسب طابعها سواء كانت رسمية أو شخصية، وعليه سنتحدث عن البناء الهيكلي لرسائل أفلح بن عبد الوهاب وما يشتمل عليه كل جزء من أجزاء هذه الرسالة من المقدمات إلى المضمون إلى الخاتمة وما ينبغي أن تشتمل عليه تلك الرسائل.

1. بنيـة المقدمـــة:

اهتم أفلح بن عبد الوهاب في كتابة رسائله بالبنية الاستهلالية اهتماما كبيرا، فكانت تشتمل على عناصر الرسالة ومن بينها:

-البسملـــة:

حيث جرت العادة عند كتاب الرسائل أن تشتمل الرسائل على مقدمة تفتتح الكلام وأولها البسملة وهذا ماذكره القلقشندي في قوله: "يجب تقديمها في أول الكلام المقصود: من مكاتبة أو ولاية أو منشور إقطاع أو غير ذلك، تبركا بالابتداء بها وتيمنا بذكرها"[1]

وقد اشترط بعض النقاد أن تفتتح الرسالة بالبسملة امتثالا لقوله صلى الله عيه وسلم " كل أمر ذي بال لايبدأ فيه باسم الله فهو أبتر أو أجذم" [2]

---

[1]: القلقشندي، صبح الأعشى، ص 222.

[2]: مسند الإمام احمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1997، 329/14.

-الصلاة على الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم-:

إن الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام كانت مستعملة منذ العصر الإسلامي، ولقد اهتم أفلح بن عبد الوهاب بذكر الصلاة على النبي بعد البسملة في رسائله مما زادها جمالا ويشير القلقشندي لهذا المعنى بقوله: " فإذا أتى بالحمدلة أول الكتاب ناسب أن يؤتى بالصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-في أوله إتيانا بذكره بعد ذكر الله تعالى"[1]

-العنـــوان:

إن عنوان الرسالة يعد عنصرا مهما من عناصر الرسالة وبه تبنى مقدمات الرسائل ويذكر فيه اسم المرسل والمرسل إليه، ومن أمثلة هذه المقدمات:ماجاء في رسالة الإمام أفلح في شأن نفاث يقول:" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، من أفلح بن عبد الوهاب إلى ميال بن يوسف يقرؤه على من بحضرته ويوجهه إلى كل من يرى توجيهه إليه...[2]

ومن ذلك أيضا رسالته إلى المسلمين يقول فيها:" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، من أفلح بن عبد الوهاب إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين."[3]

2. بنيـــة المضاميـــن:

المضمون أو موضوع الرسالة، يقع بين المقدمة والخاتمة، فهو أهم جزء من أجزاء الرسالة، ففيه يبدأ الكاتب ببسط آرائه وأفكاره ويسرد الموضوع الذي من أجله بدأ الرسالة.

---

[1]: صبح الأعشى، مرجع سابق، ص 227.

[2]: الباروني، الأزهار الرياضية، ص 200.

[3]: المصدر نفسه، ص 214.

وينتقل كتاب الرسائل إلى المراد من رسائلهم بحسن تخلص للدخول في الموضوع الذي يريدون معالجته في رسائلهم، ومنذ القديم يقع حسن التخلص في الغالب بصيغته" أما بعد" وهي وقف بين الابتداء والشروع في الموضوع المراد ذكره في الرسالة وهذا مانجده في رسائل الإمام أفلح بن عبد الوهاب.

وبالنظر إلى الحياة الرستمية التي طغى عليها الصراع والحروب والفتن فقد اقتصرت في معظم الأحيان موضوعات رسائل أفلح بن عبد الوهاب على الجوانب السياسية والدينية، لذلك لم نعثر على أي رسالة تطرقت إلى مواضيع الحياة الأخرى والتي تضمنت أغراض المديح والتهنئة والتعزية... وهذا مايدل على أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب رجل فقه ومعرفة بأمور الدين متمسك بالعقيدة قولا وفعلا، فهو يسعى إلى العمل بأوامر الله والابتعاد عن نواهيه والسير على نهج الأسلاف الصالحين.

وقد كان الإمام أفلح بن عبد الوهاب على قدر كبير من العلم والأدب والبلاغة وكانت له عدة رسائل وأجوبة مفيدة جدا في فنون شتى على حد تعبير الباروني.

3. بنية الخواتم:

الختام هو آخر مايقع في الكلام، ويشترط في الخاتمة أن تكون حسنة وذات جودة ومناسبة للموضوع الذي سبقها، وتكمن أهمية الختام في انه يدل على تمام الكلام وانتهائه، بحيث يكون واقعا على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيء بعده، وقد نبه النقاد أيضا إلى ضرورة ارتباط الخاتمة بالموضوع.

ونجد أن رسائل أفلح بن عبد الوهاب اختتم بعضها بالدعاء والسلام مثل ما جاء في رسالته إلى عامة المسلمين حيث يقول:" والله أسال أن يوفقنا وإياكم لطاعته والقيام بحقه برحمته انه قدير والسلام عليكم ورحمة الله".[1]

[1]: الباروني،الازهار الرياضية، ص 218.

ومنها ماختمها بالنصح والإرشاد مثل قوله: فعليك بتقوى الله والعمل بطاعته وحسن النظر لنفسك فإنها إن سلمت لك، فقد نجوت وفزت فوزا عظيما، ولا تدع الكتابة إليّ بحالك وسلامتك فإنك تسرني بذلك والسلام[1].

ومنها مااختتمت بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مثل قوله: "عصمنا الله وإياكم بالتقوى ورزقنا العمل بطاعته فإنه ولي ذلك ومنتهى الرغائب لاشريك له ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم"[2].

وكل هذه الرسائل تتقيد بما عرف عن خواتيم الرسائل في الأدب العربي.

لقد كانت هذه أهم المكونات التي تكونت منها هذه الرسائل، والملاحظ أن بنية رسائل أفلح بن عبد الوهاب تغيرت بشكل طفيف فيما يخص صيغ الابتداء والتخلص إذ ماقيست بالرسائل العربية بصفة عامة.

المبحث الثاني: البناء الفني.

1/ اللغـــة:

اللغة هي المادة الأولى التي تشكل النثر وأشكاله، وفيها يقدم الأديب عصارة مشاعره وزبدة أحاسيسه وأفكاره، وما يدور بخواطره، ولن يتحقق هذا إلا إذا اتخذ شكلا وقالبا لفظيا، فمهمة الدراسات الأدبية هي الكشف عن خصائص الأدباء وظروف الأعصر التي قيلت فيها، وما يمكن إدراكه هو أن اللغة تعكس الوجه الحضاري لمستعمليها فهي ترقى برقيهم، وتنحط

[1]: الباروني، الازهار الرياضية، ص 203.

[2] : المصدر نفسه، ص 189.

بانحطاطهم، والتفاعل مع اللغة ومتنها هو الذي يطبع الفن بالجمال، ويعبر عن الذات وتصوراتها[1].

وبالمقابل ندرك أن الأديب وهو يتعامل مع اللغة، يكون ممثل لمستوى معين من الحضارة ويتعامل معها من حيث المحيط المكاني والزماني والاجتماعي، فيتبدى الأثر الحضاري لكل دارس تهتم بهذه الجوانب، ومن خلال هذا نكتشف طبيعة اللغة وتركيبها وقوتها وضعفها وعلاقتها بالجانب الفكري للأمة، ومدى نجاحها في نقل الفكرة إلينا بصورة تقنعنا وتؤثر فينا فيها من قوة أو انفعال أو تأثير وهذا في إطار جمالي أو غير ذلك.

إن النثر في معظمه رسائل، خطب، مناظرات...قائما على الأداء الحسن وحسن التناول وإقامة علاقات مترابطة بين الألفاظ.

وإذا أتينا إلى دراسة لغة أفلح بن عبد الوهاب نجدها لغة بسيطة سهلة واضحة بعيدة عن التكلف والتعقيد والغرابة، فهي لغة فصيحة بليغة اتسمت بالبيان والسحر توحي بتأثر الإمام أفلح بأسلوب القرآن الكريم والحديث الشريف وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم:" إن من البيان لسحرا"[2].

باعتبارهما المصدران الهامان الذي استقى منهما الأديب مادته وموضوعاته حيث نجد ألفاظ وتراكيب هذه الرسائل مقتبسة من القرآن الكريم مثل: الإسلام، الدين، الهداية، الموعظة، الإيمان الثواب، العقاب، الخير...

أ. الحقول الدلالية:

وتدور ألفاظ هذه الرسائل حول عدة حقول دلالية منها:

---

[1]: عبد المالك معشيش، الأشكال النثرية في الأدب المغربي (في العهد العبيدي) مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، تخصص أدب مغربي قديم، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2006، ص 192.

[2]: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، الحديث 4358.

-حقل الترغيب مثل:

معز أهل طاعته، ليس من اتبع أمره بمخذول، برحمته انه مجيب، الرشد خير من الغي، الجنة خير من النار، وتقربوا إلى الله بالقيام بطاعته... وقد وظفها الكاتب ليرغبهم في التمسك بدين الله.

-حقل الترهيب:

وقد وظف الإمام أفلح عدة ألفاظ تحمل معنى الترهيب ليذكرهم بجزاء من ابتعد عن أوامر الله ونواهيه مثل قوله: لن ينجو من ابتدع غير الحق، احذروا ماحذركم منه في أليم عقابه، وإياكم والبدع فإن البدع هلكة، انهوا عن المنكر، اتبعوا ولا تبتدعوا...

-حقل الألفاظ الدينية:

كثرت الألفاظ التي تشير إلى الجانب الديني في رسائل أفلح بن عبد الوهاب ومن ألفاظ هذا الحقل: الإسلام، الشريعة، شهادة، الصلاة، الزكاة، قدير، سنة، المسلمين،الحمد، الشكر، الطاعة، الهدى، الحق، الأئمة، دين، نشهد الله، تقوى الله، السلام، العلي العظيم، الأنبياء، الرحمة، المؤمنين، الخير، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الثواب، الصالحين، العدل،الاستعانة، مستغيث، التقوى، مغفرة، جنة، اعتصموا بحبل الله، التبليغ، العمل، موعظة، إمام...

وشيوع هذه الألفاظ وكثرتها في رسائل أفلح يدل على شدة تمسكه بالدين الإسلامي وحرصه على السير وفق أوامر الله ونواهيه، وتبليغ ذلك إلى الرعية والتذكير بمنهاج الأولين والدعوة إلى إتباعهم، والاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-في كل مايتعلق بشؤون حياتهم الدينية والدنيوية.

-**حقل الألفاظ الخاصة بالحكم والولاية والبراءة:** وردت ألفاظ عديدة في رسائل أفلح بن عبد الوهاب تخص هذا الحقل نذكر منها: ولي، رعية، الحق، تمادي، عمال، شق عصا الإسلام، إقصاء، يبعد، هجر، حكم، قواد طريقة، أمر، واجب، السلطان، عدل، مسائل، نفي، براءة، ولاية، كتاب، أمة، النصر على الأعداء، القمع للظالمين، المنهاج، العصمة، الحلال، الحرام، الإمامة...

كل هذه الألفاظ تدل على حرص الإمام أفلح على الحكم بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-وولاية أهل الهدى والقائمين بما أمر الله والبراءة والابتعاد عن أهل الضلالة والزيغ والمارقين عن سلطان الدين، وفي هذا دلالة على التمسك الشديد لائمة الرستميين بصفة عامة والإمام أفلح بصفة خاصة بالدين الإسلامي وأحكامه، لذلك قامت الدولة الرستمية على مبدأ الحرية والديمقراطية والشورى وانتخاب الإمام.

-**حقل الألفاظ الدالة على الكفر والهلاك:** مثل:

بدعة، ضلال، نار، عذاب، خلاف، شيطان، سيئات، ذنوب، الشك، نوم الغفلة، الجهل، ويلهم، الفتنة، التيه، كفار، التمادي، هلاك، معاصي... كل هذه الكلمات تدخل في حقل الكفر والهلاك وقد وظفها الكاتب للتعبير عن الفئة التي تبتدع في دين الله ليذكرهم بمصيرهم إذا لم يعتدلوا في طريقهم.

-**حقل الألفاظ الدالة على النصح والإرشاد:** مثل:

انتم محقوقون بإتباع آثار سلفكم، عليكم معشر المسلمين بتقوى الله، فليسمع وليطع وليتنبه، اظهر الانتقاء من ذلك وكذب عن نفسك مارقي عليك، كن من جماعتنا، احذروا ماحذركم منه من أليم عقابه، تقربوا إلى الله، فاتبعوا ولا تبتدعوا، واجتهدوا في إدراك ما أدركوه، فاتقوا الله حق تقاته، وتواصوا بالبر والتقوى، أمروا بالمعروف وانهوه عن المنكر فعليكم معشر المسلمين بإتباع الآثار، تقوى الله ولزوم طاعته، أحسنوا محاسبة أنفسكم انتبهوا

من نوم الغفلة اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ارغبوا إليه في التوفيق والعصمة، قد بالغت إليكم في النصيحة...

كل هذه الكلمات تدخل في حقل النصح والتوجيه الذي كان سبيل الإمام أفلح في إصلاح الرعية وإرشادهم إلى الطريق الصحيح.

ب. التراكيـــب:

نجذ تراكيب هذه الرسائل مقتبسة من القرآن الكريم مثل: الإسلام، الهداية، الموعظة، الإيمان، الثواب، العقاب، الدين، الخير...

كما وظف الإمام أفلح بعض التراكيب القرآنية في نصوصه أخذت نمطا من التغيير وقدرا من الإيحاء يحافظ الإمام على توجيهها الأصلي من خلال تركيبها الدلالي لان الأصل في إيرادها هو إثارة الوجدان والعقل مثل قوله:" أرسل إلينا نبيئه محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ووعده بالنصر على الأعداء"[1].

وعلى العموم جاءت جمل هذه الرسائل قصيرة موجزة لان ذلك من شأنه التأثير بشدة فهي أوقع على النفس من تلك الجمل الطوال، خاصة أن الإمام في موقف نصح وتوجيه وإرشاد.

2/الأسلـــوب:

الأسلوب في العربية مجاز مأخوذ من معنى الطريق الممتد أو السطر المنظم من النخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب.[2]

أما مفهوم الأسلوب عند البلاغيين فهو:" طريقة الشاعر أو الكاتب الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام".[1]

---

[1]: الأزهار الرياضية، ص 214.

[2]: ابن منظور، لسان العرب، مادة " سلب"، ص 280.

واتسمت رسائل الإمام أفلح من حيث الأسلوب بالسهولة والوضوح حيث يميل أسلوبه إلى البساطة والإفهام والابتعاد عن التكلف والغريب.

ولهذا فإن أسلوبه جاء مزاوجا بين الخبر والإنشاء، حيث استعمل هذين الأسلوبين لقيمة كل منهما في إبراز معناه فهو يستخدم الأسلوب الإنشائي بضروبه المختلفة من أمر ونهي واستفهام وكذا الأسلوب الخبري.

أ- الأسلوب الإنشائي:

ونجد بأن رسائله يطغى عليها الأسلوب الإنشائي، فلقد جعله عمود رسائله لأنها تعود إلى طبيعة الفن نفسه (الرسائل) ولها تأثير قوي على المتلقي واستمالته حيث نجد الصيغ الإنشائية بارزة منها:

1) الاستفهام:

يتركب من الجمل الإنشائية الطلبية، والاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته[2].

ومن أدواته: الهمزة، من، ما، كيف، كم، أين، متى...وغيرها.

وهو أيضا طلب الجواب والفهم لسؤال يطرحه المتكلم ويريد أن يلقى له جوابا من المخاطب، وقد يخرج الاستفهام عن مفهومه الأصلي إلى معان أخرى ليحقق أغراض بلاغية كالتعجب والإنكار والتهديد والتهكم والتحقير ونحو ذلك.

ومثال ذلك ما جاء على لسان أفلح بن عبد الوهاب في رسالته إلى المسلمين في حق نفاث، فنجده يستخدم الاستفهام في غير معناه الحقيقي وهو طلب الفهم.

---

[1]: عبد السلام لمسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 54.

[1]: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ص 78.

حيث يقول: " فما وجه ماسألتم من ذلك؟ وهل أنتم على شك من دينكم أو ريبة في أمركم؟"[1].

فالإمام أفلح هنا لا ينتظر جوابا من المخاطب على سؤاله وإنما يقصد توبيخه ولومه على التهاون الذي أبداه هذا العامل في حق "نفاث" الخارج عن سلطة الإمام.

وقوله أيضا:" مرحبا بالتائب حيث كان وممن كان؟ وأين كان؟"[2].

فهو لا ينتظر جوابا على سؤاله وإنما نجده قد خرج عن المعنى الأصلي إلى معنى آخر وهو التعظيم والشمولية.

وفي رسالته إلى المسلمين يقول:" ماذا سوغت لهم أنفسهم؟،وما الذي ظنوه؟"[3].

فهو لا ينتظر جوابا وإنما يرمي إلى تنبيههم على الباطل والضلال وان لايتبعوا أهواءهم بغير حق حتى لايقعوا في فتنة الجهل والكبر والضلال.

وقوله أيضا:" هل يخافون الهلكة؟"[4] وغرضه النفي.

وفي رسالة أخرى له أيضا موجهة إلى نفاث يقول:" فجعلت تكتب إلينا فيما ليس لك به كتاب، فعلام تتجاهل الأمور؟"[5]

وهنا يستفاد من الاستفهام الإنكار لعمل نفاث.

---

[1]: الباروني، الأزهار الرياضية، ص 201.

[2]: الباروني، الأزهار الرياضية، مصدر سابق، ص 201.

[3]: المصدر نفسه، ص 217.

[4]: المصدر نفسه، ص 217.

[5]: المصدر نفسه، ص 205.

فهذه الاستعمالات وظفها أفلح رغم عمله بما يستفهم عنه، لأنه: "قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي، فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به، لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته"[1].

2) الأمـر:

وهو كذلك من الأساليب الإنشائية الطلبية، وهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء حيث يكون من الأعلى إلى الأدنى، فالأعلى يطلب ممن هو دونه حصول الفعل وتحقيقه ويبعثه عليه ويحثه، وقد اختلف البلاغيون فيما يستعمل فيه أسلوب الأمر، فيرى بعضهم انه يستعمل في الوجوب وان المراد به الإلزام والتكليف، وبعضهم يرى انه للندب، وآخرون يرون انه يستعمل في معنى يشمل الوجوب والندب وهو الطلب على جهة الاستعلاء.[2]

وقد يخرج الأمر عن هذا الأصل فيفيد معاني كثيرة يرشد إليها السياق وقرائن الأحوال[3].

وقد استعمل الإمام أفلح صيغ الأمر مثل قوله:" فمن قرئ عليه كتابي هذا فليسمع وليطع وليتنبه إلى ما أمرت به..."

وبعدها يقول:" ومن عاب أحدا من عمالنا بخصلة من الخصال من أو أنكر عليه شيئا فليرفع ذلك إلينا"[4].

---

[1]: السيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص 83.

[1]: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني مؤسسة المختار القاهرة، مصر، ط4، 2015، ص 355-356.

[2] : المرجع نفسه، ص 357.

[3] : الأزهار الرياضية، ص 203.

والطلب في الجمل السابقة على وجه التكليف والإلزام، يظهر المرسل من خلاله قوة وحزما، وبذلك فإنه "على الرغم من أن صورة الفعل المضارع تثير حركة مامع اقترانها بلام الأمر إلا أنها ذات اتجاه ثابت في الخطاب والتأثير...وهي موجهة على سبيل الاستعلاء."[1]

أما رسالة الإمام أفلح إلى نفاث شخصيا فإن صيغة الأمر التي وظفها يغلب عليها ضمير المخاطب أنت حيث يقول:"... فاظهر الانتقاء من ذلك وكذب عن نفسك ماقيل عنك".

وقوله: " فانف عن نفسك مارقي عليك، وكن من جماعتنا وموافقي أسلافنا"[2].

ورغم ما يظهر في ألفاظ الرسالة من شدة وحزم فإنها تخفي نوعا من التسامح من الإمام أفلح فهو يخاطب نفاث برفق ولين ويريده أن يظهر الانتفاء ويكذب ما قيل عنه، كما يريده أن ينفي عن نفسه مارقي عنه وينضم إلى جماعته مستعملا الضمير " نا " في جماعتنا وأسلافنا لتدل على الارتباط والتلاحم الروحي بين المسلمين.

أما رسالته إلى المسلمين فقد لجأ الإمام أفلح لتوظيف أسلوب الأمر من اجل ردع الناس وإرشادهم إلى الطريق القويم حيث نجده يستعمل الأمر في أكثر من موضع حيث يقول: " فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله، وتقربوا إلى الله بالقيام بطاعته، فاتبعوا ولا تبتدعوا، واجتهدوا في إدراك ما أدركوه، فأحسنوا محاسبة أنفسكم، وانتبهوا من نوم الغفلة، ومروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فاحذروا معشر المسلمين، واعتصموا بحبل الله، وارغبوا إليه..."

فالكاتب هدف من خلال أقواله إلى النصح والإرشاد، فكان يرى في أفكاره وآرائه أنها الأصح، ولابد من إيصالها لكل من يهمه الأمر من المسلمين فكانت هذه العبارات تذكر

---

[4]: حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005، ص 105.

[2]: الأزهار الرياضية، ص 204.

الناس بالواجب وتنبههم إلى ماينتظرهم من جزاء من الله تعالى وتخاطب فيهم القلب والعقل معا.

3) النهي:

وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية، وهو كل أسلوب يطلب به الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، فيكون من جهة عليا ناهية إلى جهة دنيا منهية.[1]

وقد يخرج النهي عن المعنى الأصلي فيرد ظاهرا تارة ومضمرا تارة أخرى ويفهم من سياق الكلام وهذا مايبدوا جليا في رسائل الإمام أفلح.

ومن ذلك قوله في رسالته إلى المسلمين:" وانتبهوا من نومة الغفلة"، "وانهوا عن المنكر"، "وأحذركم أهل البدع"، "لاتبتدعوا"،" إياكم والبدع"، " فاحذروا معشر المسلمين".

فقد اعتمد الكاتب على النهي في رسالته لغرض النصح والتوجيه ولإرشاد المسلمين وحثهم على ترك البدع.

ب- الأسلوب الخبري:

وقد وظفه بغرض الدعاء في قوله:

"والله أسأل أن يوفقنا وإياكم لطاعته والقيام بحقه برحمته انه قدير، وغرضه الدعاء وطلب التوفيق من الله تعالى له ولجميع المسلمين".

كذلك قوله: "لعمري ماتفرقوا واختلفوا إلا ببدعة ابتدعوها، وضلالة أحدثوها،وفتنة رماهم الشيطان بها، فنفخ في قلوبهم الكبر، وأورثهم العجب، فحملهم على ترك المنهاج الذي مضى عليه صالح سلفهم وزين لهم بدعتهم وصيرهم بعد الهدى ضلالاً، وبعد الإيمان

[1]: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، مرجع سابق، ص 371.

كفاراً..."فهو يؤكد على أن الفرقة والتشتت لا تكون إلا بفعل البدع التي يبتدعها بعض الخارجين عما جاء به الإسلام فنراه يوظف اللام والقسم.

كما وظف التوكيد اللفظي في إحدى رسائله حيث نراه يكرر اللفظة باستخدام مرادفتها في قوله: "فلا تغرنكم فإنها فانية زائلة"،" هل أنتم على شك من دينكم أو ريبة".

ومن الواضح أن الأسلوب الإنشائي قد طغى في معظم رسائل الإمام أفلح على الأسلوب الخبري وتلك خاصية بارزة في نثره، فلقد جعل الأسلوب الإنشائي عمود رسائله لأنها أقوى من الأسلوب الخبري في إحداث التأثير النفسي لدى المتلقي.

3-الصور البيانية:

تعد الصور البيانية أحد مقومات النص وأحد ركائز علم البلاغة بحيث لا يوجد نص خالي من الصور البيانية لأنها تعتبر جزءا هاما منه.

ولهذا يجب على الشاعر والناثر على حد سواء الإلمام بها وتوظيفها توظيفا مناسبا مما يخدم ألفاظه ومعانيه، بحيث يجد القارئ متعة في تذوقها، فهي تكسب النص الأدبي صورا حسية ومعنوية ذات طابع إيجابي، فلهذا اعتنى بها البلاغيون والنقاد منذ القدم، فراحوا يعرفونها ويبرزون أنواعها ومضامينها، وتنقسم الصور الشعرية إلى صور عديدة، ومن بين الصور الأساسية فيها نجد الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز.

وقد وظف الإمام أفلح الصور البيانية بأنواعها لذا سنحاول استخراجها لنكتشف قدرته على توظيفها في رسائله.

أ. التشبيه:

التشبيه في اللغة هو التمثيل،[1] يقال شبهت هذا بذاك أي: مثلته به.

[1]: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص219.

ويعرف علماء البيان التشبيه بقولهم: "هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة أو المفهومة من سياق الكلام"[1]

أما إذا أردنا الحديث على هذا النوع من الصور البلاغية وتجليها في رسائل الإمام أفلح نجدها تظهر فيما يلي:

– يخبط خبط عشواءٍ كحاطب ليلٍ لا يدري ما يحطب.

يشبه الإمام أفلح نفاث وهو يتصرف على غير علم ولا بصيرة بحاطب الليل الذي يضعف بصره في الليل نتيجة الظلام وإذا تأملنا وجه الشبه في هذا التشبيه نجد أنهما اشتركا في صفة ضعف البصيرة.

– لا تكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات.

فقد نهى الإمام أفلح المسلمين من التشبه بالكفار، واستخدم حرف الكاف كأداة تشبيه ووجه الشبه بين الطرفين هو إنكار الحق بعد معرفته.

– أم حسب اللذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات.

جاءت هذه الآية لتصور إنكار حسبان هؤلاء المشركين أنهم يتساوون مع المؤمنين فهم لا يستويان سواء في محياهم أو مماتهم فالكاتب قد وظف هذه الآية ليشير بها إلى هؤلاء الأشخاص الذين يتدعون في دين الله بأنهم سينالون جزاء أعمالهم.

[1]: بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ج1، ص13.

ب-الاستعارة:

يعرفها ابن رشيق بقوله: " الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام، إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها".[1] فهنا يجب عدم الإغراق في الاستعارة، والبعد بين المستعار منه والمستعار له، حتى لا يكون تنافر بينهما.

وهي عند السكاكي:" أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[2]. فهي ذكر أحد طرفي التشبيه وحذف الآخر.

وعند العسكري هي: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض".[3] فهي وضع الألفاظ في غير معناها من أجل الحصول على معنى جديد ذو فائدة أكبر من إطلاق اللفظ كما هو دون ذلك الوضع الجديد.

والاستعارة نوعان:

- تصريحيه: ماصرح بالمشبه به.
- مكنية: فهي مالم يصرح بالمشبه بهو الإبقاء على لازمة من لوازمه.

وقد توفرت رسائل الإمام أفلح على الاستعارة ومن ذلك قوله:

- " أنار لكم طريق الحق ". حيث حذف المشبه به وهو (الضوء) وترك لازمة من لوازمه وهي (النور) على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[1]: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، ط5، 1981، ص162.

[2]: السكاكي، مفتاح العلوم، ، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 369.

[3]: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952، ص268.

- " فيقتبسوا منهم الدين". وقد حذف المشبه به (النور) وأبقى على لازمة من لوازمه وهو (القبس) وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.
- " نفخ في قلوبهم الكبر". حيث شبه الكاتب الكبر بالهواء وحذف المشبه به وابقي على مايدل عليه وهو (النفخ) وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.
- " وزين لهم بدعتهم ". استعارة مكنية حيث شبه البدعة بالمرأة وحذف المشبه به (المرأة) وابقي على مايدل عليها وهي (الزينة).

وبما أن الإمام أفلح يتميز ببلاغته وفصاحته انعكست هذه الصفة على رسائله ذلك أن بلاغة الاستعارة تتجلى في دقة المعنى ووضوحه وتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي وهي تزيد المعنى جمالية ورونقها وذلك لقدرتها الفائقة في توفير المعاني الكبيرة في لفظ قصير، وكما لها القدرة على تجسيد المعنويات.

ج – الكناية:

هي أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ماعملوا باللحن والتورية عن الشيء[1].

وكذلك هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعني الأصلي،[2] وهي صورة بيانية تعنى بكيفية العدول على التصريح بصفة معنية مع الإشارة إليها فقط.

وتقسم الكناية باعتبار المطلوب إلى ثلاث أقسام فإن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات وقد يكون موصوفا وقد يكون نسبة.[3]

وإننا نجد الكناية كما وجدنا الاستعارة في رسائل الإمام أفلح ويظهر ذلك من خلال:

---

[1]: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 368.

[2]: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 287–288.

[3]: نفس المرجع، ص 288.

- "شق عصا الإسلام" كناية عن صفة التمرد عن الدين الإسلامي ومخالفته.
- وقوله: "اعتصموا بحبل الله جميعا" وهي كناية عن نسبة المسلمين لدين الله وقد وظفها الكاتب للتعبير عن التمسك بالإسلام.
- وقوله أيضا: "ابيضت وجوههم" كناية عن المؤمنين.

وظف الإمام أفلح الكناية في رسائله بطريقة إبداعية لإظهار حسه البلاغي ومعرفته لقواعد البيان والقوة الإيحائية المؤثرة لديه، فمن خلال استخدامه للكناية أراد أن يوصل معانيه من اجل التأثير في نفس المخاطب.

4-المحسنات البديعية:

لقد اهتم الإمام أفلح باستخدام المحسنات البديعية بأنواعها من سجع وجناس وطباق... وغيرها لذا سنتتبع مواطن الجمال الفني في رسائل الإمام أفلح ونكشف قدرته على توظيفها وتوسيع دلالتها وإيصالها للمتلقي.

أ/ السجع:

هو تواطأ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد.[1]وهذا معنى قول السكاكي: "الأسجاع وهي في النثر كما القوافي في الشعر"[2].

والسجع من أوصاف البلاغة في موضعه وعند سماحة القول فيه وان يكون في بعض الكلام لا جميعه، فإنه في الكلام كمثل القافية في الشعر.[3]

[1]: ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار النهضة مصر، القاهرة، دط، دت، ق1، ص 210.

[2]: محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم،مرجع سابق، ص 203.

[3]: أحمد مطلوب، فنون بلاغية (البيان والبديع) دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975، ص 244.

لذلك سعى الإمام أفلح إلى توظيف السجع في رسائله ومن ذلك مانجده في جوابه إلى المسلمين في شان نفاث يقول:" الحمد لله المحسن إلى أوليائه المنعم عليهم بحسن بلائه"، " أنعم به علينا وأحسن فيه إلينا".

وكذلك في رسالته الثانية في حق نفاث يقول:" تواتر نعم الله عليك وإحسانه إليك"، "وذكرتم أمر نفاث وأكثرتم فيه من الكتب ووصفتم عنه أشياء "، " فمن أتى من بعدهم بما يخالف شريعتهم ويأخذ غير طريقهم"، " أيديكم وأسلافكم"، "رجع عن مقالته ونزع عن بدعته"، " لا يزول ولا يتبدل "، " من أصحابنا ومن التف إليهم من رعيتنا"، " أمر لازم وفرض محرم"، "فليسمع وليطع"، " ولي عصمتنا توفيقنا".

أما في رسالته الثالثة إلى نفاث يقول:" في إتباعهم نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى الهلكة"، " تستحقها وتستوجبها"، " وكن من جماعتنا وموافقي إسلافنا".

أما النصيحة العامة من الإمام أفلح إلى من كان تحت لوائه من المسلمين يقول فيها: "انقضت مدته فنيت أيامه"، " القيام بطاعته وطلب مرضاته"، "جزيل الثواب وكرم المآب"، "فاتبعوا ولا تبتدعوا"، "عبادة وبلادة"، " وما الذي ظنوه وأملوه "، "ولم يضروا إلا أنفسهم ، ولم يحبطوا إلا على ظهورهم"، "ولم ينقصوا إلا حظهم ولم يذهبوا إلا نصيبهم"، "وإتباع منهاجكم والسلوك على طريقتكم"، " إن تجنبتم طريقة المبتدعين وخالفتم سنة الظالمين"، "ببدعة ابتدعوها وضلالة أحدثوها "، " ففي إتباعهم كل رشد وفي مخالفتهم كل غي"، "ولن يستوي عند الله من عمل بطاعته وأمره ومن عمل بمعاصيه وركب سخطه" ، "محياهم ومماتهم"، " وقد بالغت إليكم في النصيحة وشرحت لكم الموعظة".

وفي هذه المواعظ البالغة والحكم النافعة التي ما صادفت قلبا إلا ولان ولا طبعا جامدا إلا وهان، عبرة لمن يعتبر فهكذا كان شأن أئمة الإسلام.

ونلاحظ أن السجع من المحسنات التي تزيد من سلاسة النصوص، وتجعل لها جرسا موسيقيا لذلك حرص الكاتب على إيرادها في نصوصه حتى تتبع قيمة السجع وبلاغته.

ب-الجناس:

إن موسيقى النثر تعتمد على ألوان مختلفة من الفنون البديعية، ولا تقتصر فقط على اضرب السجع وأنواعه، حيث نجد الأدباء-كتاب وخطباء- يعنون كثيرا بترديد أصوات معينة تطرب الآذان وتؤثر على الأسماع لتستهوي النفوس.

والجناس من حلي البديع اللفظي المهمة التي استعان بها الكتاب البلغاء على تحقيق التوافق النغمي والتعادل الموسيقي بين الجمل والعبارات في فصول الرسائل[1]

وحقيقة الجناس وحده كما أوجزه أبو هلال العسكري:" أن يورد المتكلم -في الكلام القصير نحو البيت من الشعر، والجزء من الرسالة أو الخطبة-كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها..."[2]

وينقسم الجناس إلى عدة أقسام: جناس تام وجناس ناقص وجناس الاشتقاق...

وقد وظف الإمام أفلح الجناس في رسائله ليزيدها جمالا ونغما ومثال ذلك:

الجناس	نوعـــه
أوليائـه، بلائـه	جناس ناقص
علينـا، إلينـا	" ناقص
ديـن، دنيـا	" ناقص
تستحقهـا، تستوجبهـا	" ناقص
كاتـب، كتـاب	" ناقص
للإسـلام، السـلام	" ناقص
الثـواب، المـآب	" ناقص
اتبعـوا، تبتدعـوا	" ناقص

[1]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية (النثرية) في القرن الرابع (العراق، المشرق الإسلامي) مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية كلية الأدب جامعة بغداد، العراق، 1425هـ/2005م، ص407.

[2]: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين،مرجع سابق، ص 321.

عززتـــم، عـــز	"	اشتقاق
عبـــاده، بـــلاده	"	ناقص
أعمالكـم، لأعمالهـم	"	اشتقاق
يستغيـث، مستغيـث	"	اشتقاق
سبيـــل، سبيـــل	"	تـــام
ظنـــوه، أملـــوه	"	ناقص
أنفسكـــم، لأنفسكـــم	"	اشتقاق
ولان، وهـــان	"	ناقص
يؤخـــذ، تؤخـــذوا	"	اشتقاق
احـذروا، حذرتكـم	"	اشتقاق
ارغبـــوا، رغبكـــم	"	اشتقاق
خلقتنـــي، خلقتـــه	"	اشتقاق

إن للجناس دور مهم في جذب انتباه المكتوب إليه لما يحدثه من أجراس موسيقية متناغمة، مع حمله لمعاني مغايرة تجعل القارئ يجول بخاطره ومخيلته، مرغبا إياه في إكمال الرسالة، والاستنتاج الحاصل في توظيف الجناس بأنواعه في هذه الرسائل، كان دالا على أغلبية الجناس الناقص من حيث الكم ثم جناس الاشتقاق ثم الجناس التام الذي وظفه الكاتب بنسبة قليلة جدا، وقد أعطى للنصوص جرسا موسيقيا أحسن وقعا بسبب تنوع حروفه.

ج-الطباق:

وهو محسن بديعي معنوي، ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ، وهو أن يجمع بين متضادين أي معنيين متقابلين في الجملة[1] وينقسم إلى نوعين ايجابي وسلبي.

أ- طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف في الضدان إيجابا وسلبا.

[1]: عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، مصر، ط1، 1403هـ/1983م، ص 45.

ب- طباق السلب: وهو ما اختلف في الضدان إيجابا وسلبا.

فبالأضداد تتضح المعاني وتتجلى، ويقوى المعنى وتعطى لمسة من البديع على النص، وقد وظف الإمام أفلح الطباق في قوله:

الطبـــاق	نوعـــه
أصاب≠ أخطاء	طباق الإيجاب
يعلم ≠ لا يعلم	" السلب
إتباعهم≠ مخالفتهم	" الإيجاب
غلظ ≠ لان	" الإيجاب
الكفار ≠ المؤمنين	" الإيجاب
الخير ≠ الشر	" الإيجاب
النجاة ≠ الهلكة	" الإيجاب
الأمر≠ النهي	" الإيجاب
المعروف ≠ المنكر	" الإيجاب
المظلوم ≠ الظالم	" الإيجاب
وافق≠ خالف	" الإيجاب
العلم ≠ الجهل	" الإيجاب
عقابه ≠ ثوابه	" الإيجاب
الجنة ≠ النار	" الإيجاب
الهدى ≠ الضلالة	" الإيجاب
محياهم ≠ مماتهم	" الإيجاب
الطاعة ≠ المعصية	" الإيجاب
الرشد ≠ الغي	" الإيجاب
تبيض≠ تسود	" الإيجاب
أعداء ≠ إخوان	" الإيجاب

الله ≠ الشيطان	" الإيجاب

تنوعت أساليب إيراد الطباق في رسائل أفلح فنلاحظ غلبة طباق الإيجاب على طباق السلب، فأخذ الكاتب في إدراج الطباق بصفة متتابعة مما أعطى للمعنى دلالة قوية وشرح أوضح وسهولة في الفهم.

د-المقابلة:

هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب[1].

وقد لجأ الإمام أفلح إلى توظيف المقابلة لتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي وفهمهما أكثر ونجد ذلك في قوله:

- غلظ على الكفار ولان للمؤمنين.
- فلم يبق خصلة من خصال الخير الدال على الرشد، الداعية إلى النجاة إلا ودعا إليها وسنها أو فرضها أو أوجبها، ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية إلى الهلكة إلا وزجر عنها وأمر باجتنابها.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- هل يخافون الهلكة في إتباع آثارهم، أو يرجون النجاة في خلاف سبيلهم.
- احذروا ماحذركم منه من أليم عقابه، وارغبوا فيما رغبكم فيه من جزيل ثوابه.
- ففي إتباعهم كل رشد وفي مخالفتهم كل غي، والرشد خير من الغي والهدي خير من الضلالة، والجنة خير من النار.
- ولن يستوي عند الله من عمل بطاعته وأمره ومن عمل بمعاصيه وركب سخطه وغرضها البلاغي توضيح مدى التناقض بين هاتين الصفتين.

[1]: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 304.

هـ-الاقتباس:

يعد القرآن الكريم الكتاب الأول والمثل الأعلى لكل كاتب، كونه معجزا في ألفاظه متعبدا في تلاوته محفوظا من عند الخالق عز وجل، ويعد من أهم الأسباب التي ساهمت في بقاء اللغة العربية.

والاقتباس في اللغة هو:

"القبس: الشعلة من النار، واقتباسها الأخذ منها. ويقال: قبست منه نارا قبس قبسا فاقبسني، أي أعطاني منه قبسا، وكذلك اقتبست منه نارا واقتبست علما أيضا أي استفدته[1].

-اصطلاحا:

هو أن " يضمن الكلام شيئا من القرآن والحديث لا على أنه منه"[2]

فنجد الكتاب يتخذونه شهادة للاستدلال وأداة فنية للتأثير.

ومن خلال دراستي لهذا الفن وجدت بأن الاقتباس يشكل ظاهرة في كل نصوص الإمام أفلح فهو تارة يقتبس اقتباسا مباشرا وتارة يقتبسه بمعانيه لا بنصوصه ومثال ذلك قوله: "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين" فقد اقتبس من سورة آل عمران الآية (133) فالكاتب يقدم جملة من النصائح والإرشادات والمواعظ والحكم والأوامر التي يجب على المسلم إتباعها والنواهي التي يجب الابتعاد عليها لنيل رضا الله والجهاد في سبيله والقيام بأمره والانتهاء عما نهى عنه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

[1]: لسان العرب، مج، مادة"قبس"، ص 167.

[2]: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، دط، دت، ج4، ص 130.

ومناصرة المظلوم والثورة على الظالمين، كما يحذرهم من البدع لأنها تؤدي إلى الضلال، ويدعوا المسلمين إلى طاعة الله ورسوله.

ونجد كذلك قوله:"فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم" فهي مقتبسة من قوله تعالى في سورة آل عمران الآية 102-103 يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102)وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)"[1] .

فقد رغب للمسلمين الجنة ونفرهم من النار ونهاهم عن الفسوق والعصيان لان الهداية مثال النهج الصحيح.

ونلاحظ في كل هذه الأوامر والنواهي تناصا مع القرآن الكريم والحديث النبوي وذلك بأخذ المعنى دون إيراده مباشرة، فنجد مثلا ترغيب الهدى ونبذ الضلالة.

أما الاقتباس المباشر من القرآن لكريم فنجده في:

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)»[2].

وأيضا قوله تعالى: «قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12)»[3] فالكاتب يحذر المسلمين من هذه الصفة الذميمة لأنه من رضيها لنفسه فإنه من حزب الشيطان الذي لم يهلك إلا من باب الكبر.

---

[1]: سورة آل عمران: الآية 102-103.

[2]: سورة المائدة، الآية 67.

[3]: سورة الأعراف: الآية 12.

وورد في موضع آخر من رسالة أفلح قوله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105)»[1] فهو ينهاهم عن الاختلاف والتفرقة ويحذرهم من البدع لأنها تؤدي إلى الضلالة.

واستأنس في بيانه لمقامات الناس يوم القيامة بقوله جل شأنه: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (106 (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(107) ».[2]

ويضع الكاتب مقارنة بين المحسن والمسيء بالاستناد إلى قوله عز وجل: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)»[3].

كما اقتبس من الحديث النبوي الشريف ولكن بصياغة مختلفة والمعنى واحد ويتضح ذلك في قوله: "فهو ذو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار...".[4]

وكذلك جاء في رسالته الموجهة إلى كل من كان تحت لوائه من المسلمين قوله: " وإياكم والبدع فإن البدع هلكة وسوء طريقة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر، وكل كفر في النار..."[5].

---

[1]: سورة آل عمران: الآية 105.

[2]: سورة آل عمران: الآية 106-107.

[3]: سورة الجاثية: الآية 21.

[4]: الأزهار الرياضية، ص201.

[5]: المرجع نفسه، ص214.

وهاتان الفقرتان تتناصان مع حديث الرسول–صلى الله عليه وسلم– حيث يقول: " ...فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار..."[1].

كما نجده قد أشبع رسائله بالمعاني الروحية والإيمانية التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حيث يقول في رسالته الموجهة إلى كل من كان تحت لوائه من المسلمين: "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر" وهذا اقتباس من حديثه صلى الله عليه وسلم.

ليختم الإمام أفلح في الأخير رسائله بتبجيله للائمة ورفع مقامهم وجعلهم سراج الأمة وجعل القرآن الكريم والسنة النبوية دستورا يجب إتباعه والسير على منواله.

[1]: الحديث بنصه الكامل موجود في صحيح مسلم وسنن أحمد وابن ماجة وغيرها من كتب الحديث.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي ينير عقول البشر، الحمد لله الذي بفضله يتم العمل.

بعد فسحة علمية في رحاب الأدب الرستمي ومع رائد من رواد العهد الرستمي سياسيا وأدبيا وهو الإمام أفلح بن عبد الوهاب، تضمنت الدراسة لعديد من الموضوعات الفنية المذكورة في الرسالة، وفيما يلي ذكر لأهم ماتوصلنا إليه من خلال هذه الدراسة:

- بلغت الدولة الرستمية شأوا عظيما من الناحية الفكرية حيث لعب أئمتها دورا هاما في تشييد المؤسسات التعليمية لأجل إثراء الحياة الثقافية والعلمية فأنجزت الكتاتيب لإعداد الطلبة وشيدت المساجد لإقامة حلقات العلم والمناظرات وهذه الأخيرة تعتبر من أهم المظاهر الحضارية في الجمع بين مختلف المذاهب والفرق، كما توفرت للدولة مكتبة من أعظم المكاتب وهي مكتبة المعصومة.

- اتسمت رسائل الإمام أفلح بالطابع الديني فكانت الصفة الغالبة على جميع رسائله وقد اصطبغت بهذه الصبغة لان الإمام أفلح كان أكثر التزاما وحرصا وتمسكا بكل الأحكام الدينية ويظهر ذلك من خلال توظيفه لآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

- تعد معظم رسائل الإمام أفلح ذات طابع إنشائي، مما يدل على سعة اطلاعه وطول باعه في هذا الفن.

- تميزت هذه الرسائل بالوضوح وجزالة الألفاظ والبعد عن الغرابة.

- تميزت رسائله بكثرة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وهذا لأجل الإقناع والتأثير وإعطاء الحجج.

- تظهر بعض رسائل الإمام أفلح أن الكتابة الديوانية كانت منتشرة بكثرة وفي إحدى رسائله إشارة إلى ذلك في قوله: (... وقد أكثرتم فيه من الكتب...).

- اعتمد الإمام أفلح في رسائله على إثارة العاطفة وإيقاظ الوجدان وذلك باستخدام الصور البيانية والمحسنات البديعية لغرض جلاء المعاني وإيضاحها.

- ساهمت الدراسة الفنية في الكشف عن جماليات النصوص.

وأخيرا تبقى هذه النتائج قراءة خاصة مما يعطي هذه الرسائل آفاقا جديدة في البحث والتقصي، وأتمنى أن أكون قد وفقت ولو بالنزر اليسير.

القرآن الكريم برواية ورش.

المعاجـــم:

1. بسام عبد الله، قاموس نوبل، عربي عربي، دار الكتاب الحديث، دط، 2011.
2. الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1419هـ، 1998م.
3. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، الجزء 1+2.
4. ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث القاهرة، مج4، باب الراء، مادة رسل.

المصادر:

1. الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ق2، دط، دت.

المراجع:

2. أحمد بوزيان، تيارت من آل رستم إلى الأمير عبد القادر، دار المدار الثقافية، البليدة(الجزائر)، ط1، 2013.
3. أحمد مطلوب، فنون بلاغية (البيان والبديع) دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975.
4. أمل دواعق سعد، فن المراسلة عند مي زيادة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1972.
5. بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني مؤسسة المختار القاهرة، مصر، ط4، 2015.

6. البكري أبي عبيدة المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، دط، دت.

7. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ج1.

8. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، مكتبة الخاجي، دط، دت، ج2.

9. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة، دط، دت، ج2.

10. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت.

11. جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، دت.

12. جورج غريب، العصر العباسي، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1978م.

13. حسام محمد علم، دراسات في النثر العباسي، القسم الثاني، ط4، 2007،2008م.

14. حسن نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2002م.

1. حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005. ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار العرب الإسلامي، دط، دت.

15. ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت.

16. الحوفي أحمد، النثر الفني عربي النشأة، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مج 45، ج1.

17. خالد الجلبوني، فن الرسائل النثرية في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة، دمشق سوريا، دط، دت.

18. ابن خلدون، كتاب العبر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دط،1484هـ، ج6.

19. خليف مي يوسف، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دار قباء للطباعة والنشر،دط، دت.

20. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، ط8، 2010، ج1.

21. رمضان شاوش، الدر الوقاد، من شعر بكرين حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، ط1،1385هـ-1966م.

22. ابن سلام الاباضي، الإسلام وتاريخه من وجهة نظر اباضية، تح: د.ق.شقارتزو سالم بن يعقوب، دار اقرأ، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م.

23. عبد السلام لمسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

24. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، الحديث 4358.

25. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.

26. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية(مصر)، دط، دت. صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر-من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين-، دار العلوم للنشر والتوزيع، دط، دت.

27. شوقي ضيف، الأدب في موكب الحضارة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط5، 1968م.

28. شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط7، دت.

29. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط10، دت.

30. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط8، دت.

31. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط5، دت.

32. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزائر–المغرب الأقصى–موريتانيا–السودان) دار المعارف، القاهرة، ط1، دت.

33. صالح فركوس، تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي إلى نهاية الدولة الزيانية، مديرية النشر لجامعة قالمة، دط،2011، ج1.

34. ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار النهضة مصر، القاهرة، دط، دت، ق1.

35. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، دار المعارف، ط4، دت، ج1.

36. طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، مصر، ط1، دت، ج1.

37. عبد العال، محمد يونس، في النثر العربي، قضايا وفنون ونصوص، الشركة المصرية العالمية، ط1، 1996م.

38. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1 2008.

39. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، ط5، 1981.

40. علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط1، 1995، ج4.

41. غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية (النثرية) في القرن الرابع (العراق، المشرق الإسلامي) مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية كلية الأدب جامعة بغداد، العراق، 1425هـ/2005م.

42. فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، 1991.

43. عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، مصر، ط1، 1403هـ/1983م.

44. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط 1340هـ، 1922م، ج1.

45. لجنة البحث العلمي في جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية (من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر "قسم المغرب الإسلامي")، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، 1999م، ج2.

46. عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، دط، دت، ج4.

47. محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

48. محمد زينهم محمد عزب، قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، ط1، القاهرة،2013 م.

49. محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،2006.

50. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، مؤسسة تاوالت الثقافية، دط،2010.
طالب راجي الخزاعلة، الدولة الرستمية الاباضية في الجزائر(137-297هـ/754-909هـ)، زمزم ناشرون وموزعون، عمان، ط1، 2015.

51. محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم، الكويت، ط3، 1987.

52. محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، دت، ج2.

53. محمود مقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية، دار الفكر، ط1، دمشق سوريا، 1993م.

54. مسند الإمام احمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1997، 14.

55. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، 1902.

56. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952.

57. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مح2، دار صادر، ببيروت، دط، دت.

58. يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2009، ج1.

59. يسرى عبد الغني عبد الله، النثر في عصر صدر الإسلام، نهج البلاغة نموذجا، منشورات صفحة البلاغة الرحبة، ط1، مارس 2017.

الموسوعات:

1. الموسوعة العالمية العربية، حرف الراء، مؤسسة أعمال الموسوعة، ط3، 1999.

رسائل جامعية:

1. غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية (النثرية) في القرن الرابع (العراق، المشرق الإسلامي) مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية كلية الأدب جامعة بغداد، العراق، 1425هـ/2005م.
2. عبد المالك معشيش، الأشكال النثرية في الأدب المغربي (في العهد العبيدي) مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، تخصص أدب مغربي قديم، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2006.
3. ناصر بوصوري، فن الترسل في العهد الرستمي–مقاربة أسلوبية–، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2007.

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
	شكر وعرفان	
	إهداء	
	مقدمة	أ–د
	مدخل	
1	**مفهـوم الترسـل**	01
أ	لغة	01
ب	اصطلاحا	02
2	**نشـأة فـن الترسل وتطـوره**	03
أ	مرحلة العصر الجاهلي	03
ب	المرحلة النبوية.	05
ج	مرحلة الخلفاء الراشدين.	10
د	مرحلة العصر الاموي.	14
هـ	مرحلة العصر العباسي.	16
3	**أنــواع الرسائــل**	17
أ	الرسائل الديوانية(الرسمية).	17
ب	الرسائل الاخوانية(الخاصة).	19
ج	الرسائل الأدبية.	20
	الفصل الأول: فن الترسل في العهد الرستمي.	
	المبحث الأول: الدولة الرستمية.	22
1	**تأسيس الدولة الرستمية.**	22
2	**أصل نسب الرستميين.**	25
3	**الحياة الثقافية والاقتصادية والفكرية في الدولة الرستمية**	27
4	**اهتمامهم بالعلوم والآداب**	32

5	**انهيار وسقوط الدولة الرستمية**	34
	المبحث الثاني: فن الترسل الرستمي	35
1	**أعلامه**	36
2	**موضوعاته**	43
3	**خصائصه البنائية**	44
أ	المقدمات	44
ب	المضمون	45
ج	الخاتمة	46
	الفصل الثاني: الدراسة الفنية.	
	المبحث الأول: البناء الهيكلي للرسائل	49
1	بنية المقدمة	49
2	بنية المضامين	50
3	بنية الخواتم	51
	المبحث الثاني: البناء الفني	52
1	**اللغـــــة**	52
أ	الحقول الدلالية	53
ب	التراكيب	56
2	**الأسلوب**	56
أ	الأسلوب الانشائي	57
ب	الأسلوب الخبري	61
3	**الصور البيانية**	62
أ	التشبيه	62
ب	الاستعارة.	64
ج	الكناية	65
4	**المحسنات البديعية**	66

أ	السجع	66
ب	الجناس	68
ج	الطباق	69
د	المقابلة	71
هـ	الاقتباس	72
	الخاتمـــــة	77
	قائمة المصادر المراجع	80
	الملاحق	88
	فهرس الموضوعات	
	الملخص	

الرســـــالة الأولى:

جواب الإمام رضي الله عنه إلى المسلمين في شأن نفاث

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وسلم.

من أفلح بن عبد الوهاب، إلى ميال بن يوسف يقرؤه على من بحضرته ويوجهه إلى كل من يرى توجيهه إليه، أما بعد،

فالحمد لله المحسن إلى أوليائه المنعم عليهم بحسن بلائه معز أهل طاعته وناصر القائمين بحقه فليس من اتبع أمره بمخذول (أحمده) على ما أنعم به علينا وأحسن فيه إلينا حمدًا أبلغ به رضاءه واستوجب به المزيد انه قدير، انتهى إلي الكتاب الذي كتب به إليك تحية ابن عبدين فقرأته وفهمت كل ما ذكره لك فيه عن كل خائب جاهل بما هو عليه متحامل على مالا علم له به متخبط في أموره خبط عشواء لم يبلغ العلماء فيقتبس منهم ولم يصحب أهل الورع فتحجزه آثارهم عن الهجوم على مالا علم له به، لكنه نشأ وحيدا وأقام متوحشا من العلماء فتقلب في جوانحه الشيطان بنفخاته فأورثه الكبر وعظم عليه الوقوف دون مالا يعلم حتى يعلم فهجم على مالا يحل له فكل شيء خطر على قلبه تكلم به مصيبا كان أو مخطئا، وما أصابه من شيء على غير علم فأصابته خطأ إذا تكلم بما لا علم له به وما أصابه من خطأ فهو مخطئ فيه فهو يتردد في الخطأ إن أصاب لم يدر وإن أخطا لم يدر فهو راكب مشكلات يخبط خبط عشواء كحاطب ليل لا يدر ما يحطب ولعله يحتطب ما فيه حتفه أو حية تأتي على نفسه فنعوذ بالله من الفتنة ومن السلوك على منهاج ذلك الرجل، لقد كان من مضى قبلكم من المسلمين لا يدعون مثل هذا يدخل مجالسهم ولا يشهد جماعتهم وكان عندهم مقصي ومبعداً مدحوراً يهجرونه ويجالسونه حتى يرجع إلى سنة المسلمين وأنتم

محقوقون بإتباع آثار سلفكم والسلوك على منهاجهم وأن تفعلوا بهذا التائه المتخبط ما كان يفعله قبله لكي ينزجر من أراد الله به خيرا وينتبه غيره ممن يخاف عليه الاقتداء به وإتباعه ولا تظهر سنن أهل البدع ولا تقوم للشيطان دعوة وأنا مبدئ لكم ما ذكره وراد عليه ضلالته.[1]

[1]: الباروني، الأزهار الرياضية في ملوك وأئمة الإباضية، ص200، 201.

الرسالــة الثانيــة:

الرسالة الثانية للإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من أفلح بن عبد الوهاب ..... (بياض في الأصل)

أما بعد، ألبسنا الله وإياك عافيته وكفانا وإياك مهمات الأمور برحمتك، كتبت إليك وأنا ومن قبلي من خاصتي والرعية عامة على أحسن حال جرت به عادة الله وتواترت به نعماؤه فله الحمد كثيرا والشكر دائما، أتاني كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك وحسن حالك وتواتر نعم الله عليك وإحسانه إليك وإلى من قبلك من الرعية وأهل الطاعة فسرني بذلك وحمدت الله كثيرا عليه وسألته تمام النعمة علينا وعليكم برحمته أنه مجيب، وذكرتم أمر نفاث وأكثرتم فيه الكتب ووصفتم عنه أشياء لا يشك أحد منكم في أنها بدعة وخلاف لما مضى عليه سلفكم فإن يك ذلك كما وصفت فما ينبغي لأحد منكم أن يخالجه الشك في أن ذلك ضلال لأن الهدى في أيديكم والحق ما شرعه لكم سلفكم الصالح والأئمة المرضيون رضي الله عنهم فمن أتى من بعدهم بما يخالف شريعتهم ويأخذ في غير طريقهم فهو ذو بدعة وكل بدعة ضلال وكل ضلال كفر وكل كفر في النار، وأنتم على يقين من سنة أسلافكم ولا تتبع الهدى إلاّ في موافقتكم ولا يخاف العاقل الهلاك إلاّ في خلافهم، وقد قلتم في كتابكم (هو غلام حدث غر لا تجربة له في الأمور فنخاف إن جشمناه السفر والشخوص أن تحمله اللجاجة مع إعجاب الرأي والتيه بالنفس على التمادي فيما يهلك به نفسه) فما وجه ما سألتم من

ذلك وهل أنتم على شك من دينكم أو ريبة في أمركم، السنة في أيديكم وأسلافكم الماضون كانوا على مثل حالكم، بل كانت لهم عمال في حال كتمانهم وكبار يقومون بكل أمر من الحقوق وغيرها في حال الكتمان وليس أحد منهم يقول ما حاكيتموه عن هذا الغلام، فلما حدث منه ما ذكرتموه كان أمره واضحا وهو أنه أخذ بخلاف ما مضى عليه سلفه وأحدث مقالة لم يقلها عنهم غيره وأنتم على يقين من أمركم فما أحوجكم إلى مجيئه وأشخاصه وإن كنتم تريدون أن تعلموا ما نحن عليه فنحن على ما مضى عليه سلفنا ومقرون لما حكيتموه عنه أن قاله، فقوموا عليه فان رجع عن مقالته ونزع عن بدعته فمقبول منه رجوعه ومرحبا بالتائب حيث كان وممن كان وأين كان وان أبى إلا التمادي فانتم تعلمون السيرة فيمن ابتدع في دين الله وشق عصا الإسلام وقال بخلاف الحق، فانه محقوق بأن يهجر ويقصى ويبعد، ونفاث مثل واحد من الناس لا أخصه بشيء دون غيره والسيرة فيه وفي غيره واحدة والسنة قائمة وحكم الله لا يزول ولا يتبدل فأنا نشهد الله على من كان من أهل هذه الدعوة وعمالنا وقوادنا وأهل العلم من أصحابنا ومن التف إليهم من رعيتنا أن لا يسمع أحدًا يبتدع في دين الله أو يسلك طريقة غير طريقة أصحابنا الماضين من أسلافنا إلا ويكون قد غير ذلك وأطفأه واستتاب من أظهره فان لم يتب خلعه، فهذه منى عزيمة واجبة وأمر لازم وفرض محرم أن يتعدى وأن يقال بخلافه، فمن قرئ عليه كتابي هذا فليسمع وليطع وليتنبه إلى ما أمرت به، ومن عاب أحدًا من عمالنا بخصله من الخصال أو أنكر عليه شيئا فليرفع ذلك إلينا فنكون نحن الذين يغيرونه إن كان مما يغير وليس للرعية الوثوب على السلطات حتى ترفع ذلك إلينا لأن الوثوب على السلطان والاقتفاء للخصال التي نحن أولى بالنظر فيها خطأ من الرعية وضرب من ضروب السائبة لأن هذا وضربه مما لا يعلم باطنه إلا بالبحث وقد يظن الظانّ في الأمر فيراه خطأ وهو عدل من حيث لا يعلم، ولم يظلم من دعاكم إلى نفسه وكلفكم بأن ترفعوا أموركم إليه لأن في ذلك شفقة

منا عليكم إن تهلكوا من حيث لا تعلمون والله ولي عصمتنا وتوفيقنا وإياكم وهو المستعان لا شريك له، وقد كتبت إليك جواب مسائلك فعليك بتقوى الله والعمل بطاعته وحسن النظر لنفسك، فإنها إن سلمت لك فقد نجوت وفزت فوزًا عظيمًا، ولا تدع الكتابة إليّ بحالك وسلامتك فانك تسرني بذلك والسلام.[1]

[1]: الباروني، الأزهار الرياضية، ص 201-203.

الرسالة الثالثة:

رسالة للإمام أفلح رحمه الله إلى نفاث:

من أفلح بن عبد الوهاب إلى نفاث بن عنصر، أما بعد،

فالحمد لله المنعم علينا والمحسن إلينا الذي بنعمته تتم الصالحات، ولا يهتدي مهتد إلا بعونه وتوفيقه فله المنة علينا ولا منة لنا عليه وهو المحسن إلينا إذ هدانا لدينه وجعلنا خلفا من بعد أسلافنا الصالحين وأئمتنا المهتدين الذين في إتباعهم نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى الهلكة، ولن يهتدي من خالف العدل ولن ينجو من ابتدع غير الحق لأن تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار.

وقد كتبت إليك غير كتاب أنصح لك فيه وأدعوك إلى رشدك وفي كل ذلك لا يبلغني من عمالنا فيك إلا ما أكره ولا أرضاه لدين ولا دنيا حتى حررت كتابا منشورا إلى عمالنا أمرتهم فيه بخلع كل من خالف سيرة المسلمين وابتدع غير طريقتهم وسار بغير سيرتهم وبنفيه وهجره وإقصائه، فكتب إليَّ كتابًا كأنك تسخط ذلك، أترى أوازر من ابتدع في ديننا (كلا) ماكنت بالذي يفعل ذلك ولا أوازر من يسعى في خلافنا ما كنا على الهدى.

ثم قلت أنا أمرنا في كتابنا بالبراءة منك، فإن كنت كما كتب به إلينا عمالنا فأنت محقوق بالبراءة ومقصي من جماعتنا لأننا ما كتبنا كتابنا ذلك إلى على أن كل من ابتدع في ديننا خلاف أسلافنا وزعم أن عمالنا أساقفة وأنهم لا طاعة لهم في حال كتمانهم فهو محقوق بالبراءة ومقصي من جماعة المسلمين فان تكن أنت منهم فأنت الذي أبحت لنا البراءة منك

وأحللت بنفسك مالا بد لنا أن نفعله بك وبغيرك، وإن لم تكن كذلك فاظهر الانتفاء من ذلك وكذب عن نفسك ما قيل عنك لتكون عندنا بالحالة التي تستحقها وتستوجبها.

وأما قولك (تب مما كتبت به) فهو منك عبث إذ لم أشاهدك ولم أشاهد موافقتك حتى يجب لك علي أصل ولاية، ولم يكن لك عندي تقدمه في الموافقة، وإنما رفع إلينا عنك ما رفعه أهل الثقة عندنا فأمرنا عمالنا أن يسيروا في كل من ابتدع بسيرة المسلمين وكتبنا إليهم بذلك، فجعلت تكتب إلينا فيما ليس لك به كتاب، فعلام تتجاهل في الأمور، فان كانت غايتك إنما هي أن نكتب إليك وتجيب وتكتب إلينا ونجيب فهذه غاية قصيرة والسكوت عنك أهنأ وأولى بنا ونحن بمأمنينا به أحق من مجاوبة أهل التكلف ومن ليس له غاية إلا أن يقال فيه كتب فلان وقال فلان وفلان يفعل ويفعل فلان، وأن كانت غايتك التصحيح فانف عن نفسك مارقي عليك وكن من جماعتنا وموافقي أسلافنا، فإذا تبينت منك الموافقة والانتقاء مما رقي عليك كان ذلك هو الذي نحبه منك ومن غيرك وليس لك عندي غير هذا، وان يكن حقا ما رقي عليك وما قيل فيك من مخالفة أصحابنا فأنت وما رضيت به لنفسك، وإني غير كاتب إليك كتابا بعد هذا إلا أن انتهى إلينا منك ما تحبه فنزلك من أنفسنا بحيث تحب والله المستعان ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم.[1]

[1]: الباروني، الأزهار الرياضية، ص 204-205.

الرسالة الرابعة:

النصيحة العامة من الإمام أفلح رحمه الله إلى كل من كان تحت لوائه من المسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من أفلح بن عبد الوهاب إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين، (أما بعد)،

فالحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأكرمنا بمحمد عليه السلام وأبقانا بعد تناسخ الأمم حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطًا شاهدة لنبيئها بالتبليغ ومصدقة لجميع الأنبياء وشاهدة على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء عليهم السلام إليهم منّا من الله ورحمة، أرسل إلينا نبيئه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ووعده بالنصر على الأعداء وضمن له الفلج والغلبة ووعده بالعصمة وقال له عز وجل «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس» فأدى عليه السلام ما أمره الله به ونصح لأمته ودعا إلى سبيل ربه وجاهد عدوه وغلظ على الكفار ولان للمؤمنين فكان لهم كما وصفه الله عز وجلّ رؤوفا رحيما حتى انقضت مدته وفنيت أيامه واختار له ربه ما عنده فقبضه محمود السعي مشكور العمل صلى الله عليه وسلم، فلم تبقى خصلة من خصال

الخير الدالة على الرشد الداعية إلى النجاة إلا ودعا إليها وسنها أو فرضها أو أوجبها ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية إلى الهلكة إلا وزجر عنها وأمر باجتنابها رحمة من الله لعباده فله الحمد على ذلك كثيرا، ثم أمر تعالى بالجهاد في سبيله والقيام بحقه والأخذ بأمره والانتهاء عما نهى عنه وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم والقمع للظالمين لكي لا تقوم للشيطان دعوة ولا تثبت لأهل حزبه قدم ولا ينفذ لهم حكم فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الدين وإعزازه وهو الجهاد وتأدية الحقوق الواجبة فيما وافق هواكم أو خالفه وتقربوا إلى الله بالقيام بطاعته وطلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب وكرم المآب، وعليكم بتقوى الله وإتباع آثار سلفكم فقد سنوا لكم الهدى وأوضحوا لكم طريق الحق وحملوكم على المنهاج ففي إتباعهم النجاة وفي خلافهم تخشى الهلكة فاتبعوا ولا تبتدعوا واجتهدوا في إدراك ما أدركوه وإياكم والبدع فإن البدع هلكة وسوء طريقة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار، فمن ترك آثار سلفكم الصالحين واتبع غير سبيلهم فقد أحل بنفسه الهلكة ووجب عليكم القيام عليه والبراءة منه وخلعه مما هو عليه حتى لا يجد عندكم هوادة ولا ادهانا وحتى لا تقوم لظالم حجة ولا تطاع له مقالة فإنكم متى لم يجد ظالم فيكم ولا عندكم مقاما عززتم وعزّ دينكم وكان لكم ذلك عند الله فوزًا عظيمًا.

(واعلموا) أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عباده وبلاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم، فليس لأحد منكم عذر ولا حجة يحتج بها على الله فقد أوضح لكم المنهاج وأنا لكم طريقة الحق وجعل لكم زمان رجالاً تسند إليهم الأمور ويأمرون فيطاع أمرهم، ويدعون فيجاب نداؤهم، وأنتم رجال زمانكم والكبراء من أهل الزمان الأول من أوائلكم فإن كانت أعمالكم موافقة لأعمالهم فالله على ذلك محمود وعليكم الثبوت والازدياد من كل خير وإن كانت أعمالكم قد قصرت عن أعمالهم وحطمكم الذنوب عن البلوغ إلى درجاتهم فأحسنوا

محاسبة أنفسكم وانتبهوا من نومة الغفلة وخذوا لأنفسكم من أنفسكم وانتم سالمون من قبل أن تؤخذوا ويؤخذ منكم بالكظم وتصيروا إلى حالة لا يستغيث فيها مستغيث ولا تقبل من نفس فدية فاتقوا الله حق تقاته وتواصوا بالبر والتقوى ومرُوا بالمعرف المفترض عليكم وانهوا عن المنكر الذي قد نهيتم عنه، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فإنكم لن تسارعوا إليها بالأماني والتوكل، وإنما تسارعون إليها بالعمل الصالح والمسارعة إلى مرضاة ربكم ولن تنالوا ذلك إلا بعون الله وتوفيقه.

ثم أحذركم أهل البدع الذين لم يعرفوا حقا فيتبعوه ولن يلقوا أهل العلم فيقتبسوا منهم الدين، عاشوا مع أهل الجهل فخلا بهم الشيطان ونفخ في قلوبهم الكبر وأورثهم العجب فاستحيوا أن يقولوا فيما لا يعلمون لا نعلم فأفتوا برأيهم أقواما جهلة لا يعرفون ما يقال لهم، قلدوهم دينهم وألزموا أنفسهم الرأي فاتبعوهم على بدعتهم فضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل فويلهم ماذا سوغت لهم أنفسهم وما الذي ظنوه وأملوه إذ تركوا آثار من مضى من السلف الصالح، هل يخافون الهلكة في إتباع آثارهم أو يرجون النجاة في خلاف سبيلهم، كلا، ولكنهم اتبعوا أهواءهم بغير حق فألزمتهم فتنة الجهل وانتفخت صدورهم من نفخة الكبر، لم يحاسبوا أنفسهم فينكشف لهم خطأهم.

(فاحذروا) معشر المسلمين من كانت هذه صفته ومن حل بهذه المنزلة ورضيها لنفسه، واعلموا أن من كان كهذا فقد صار من حزب الشيطان وأوليائه لأن الشيطان لم يضل ولم يهلك إلا من باب الكبر، أمره الله أن يسجد لآدم صلى الله عليه وسلم فتكبر عليه وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فويله ماذا عليه من آدم إذ خلقه الله من طين لو سجد له كما أمره الله تعظيما لله لا لآدم وطاعة لله لا لآدم، وإن كان آدم من طين فهو إنما يطيع الله لا آدم، لكنه تكبر فهلك وعاند فكفر وغوى فضل وأصر فأهلك نفسه ولم يضر ذلك آدم، فهكذا هؤلاء المبتدعون الراغبون عن آثار سلفكم وإتباع منهاجكم والسلوك على طريقتكم

لم يضروا إلاّ أنفسهم، ولم يحبطوا إلاَّ على ظهورهم ولم ينقصوا إلا حظهم ولم يذهبوا إلا نصيبهم فأما أنتم فعلى بصيرتكم إن تجنبتم طريقة المبتدعين وخالفتم سنة الظالمين، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم وإحسانه إليكم وارغبوا إليه في التوفيق والعصمة واحذروا ما حذركم منه من أليم عقابه، وارغبوا فيما رغبكم فيه من جزيل ثوابه واذكروا ما نهاكم عنه وما وصفه لكم عن المبتدعين قبلكم، ومن أضل من الناس فيما مضى، قال عز من قائل «لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم» لعمري ما تفرقوا واختلفوا إلاّ ببدعة ابتدعوها، وضلالة أحدثوها وفتنة رماهم الشيطان بها، فنفخ في قلوبهم الكبر، وأورثهم العجب، فحملهم على ترك المنهاج الذي مضى عليه صالح سلفهم وزين لهم بدعتهم وصيرهم بعد الهدي ضلالاً، وبعد الإيمان كفارًا، فقال عزّ وجلّ لهم وفيهم «أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» فسماهم كفارًا بعد الإيمان بما أحدثوه وابتدعوه إذ تركوا ما شرع لهم من الدين وقال عزّ من قائل «وأمّا الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون» فمدحهم إذ ثبتوا على دينه واتبعوا أمره وسلكوا على منهاج أوائلهم، فعليكم معشر المسلمين بإتباع الآثار والعمل بما عمل به أسلافكم المتقدمون قبلكم فقد سنوا لكم الهدى، ففي إتباعهم كل رشد وفي مخالفتهم كل غي، والرشد خير من الغي والهدى خير من الضلالة، والجنة خير من النار، ولن يستوي عند الله من عمل بطاعته وأمره ومن عمل بمعاصيه وركب سخطه، ألم تسمعوه يقول عزّ وجلّ «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

(هذا) وقد بالغت إليكم في النصيحة وشرحت لكم الموعظة ورضيت لكم بما رضيت به لنفسي ونهيتكم عما انهي عنه نفسي نصيحة لله واجتهادًا في طلب رضائه والله اسأل أن يوفقنا وإياكم لطاعته والقيام بحقه برحمته انه قدير والسلام عليكم ورحمة الله.[1]

[1]: الباروني، الأزهار الرياضية، ص 214-218.